سلسلة روايات
ملف المستقبل

٨

الارتجاج القاتل





نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ رسالة منتصف الليل ..

تسلَّل ضوء القمر إلى قطرات المطر المتساقطة فى ليلة من ليالى الشتاء ، فبدت كقطع من الماس تهبط من السماء ، وتوقف النقيب (نور) يتأمل ذلك المشهد بصمت ، وقد نمَّت ملامحه عن افتتان شديد بروعة خلق الله ، وعظمة الطبيعة .. وبعد فترة طويلة تنهَّد ، وهمس لنفسه قائلًا :

ــ يا لَعظمة الخلق !! إن عبقرية الإنسان وعلمه مهما تطورا ، لن يصلا إلى إبداع مثل هذه الصورة المتلألئة بالجمال والروعة .

غاب فى تأمُّلاته حتى أنه لم يستمع إلى ذلك الأزيز الذى انتشر فى غرفته .. وما لبثت حواسه أن تنبَّهت كلها بغتة ، عندما عاد الأزيز ينتشر للمرة الثانية .. فأسرع إلى لوحة طبيعية معلقة على الحائط ، ومرَّ على صفحتها براحته .. تألَّقت اللوحة ببريق أخَّاذ ، ثم

اختفت ألوانها ، وظهرت عليها صورة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ..

شعر (نور) بالحرج ؛ لأنه يرتدى ملابس النوم ، ولكنه أدّى التحية العسكرية باحترام ، ووقف وقفته العسكرية الثابتة .. ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ــ مساء الخير أيها النقيب .. يبدو أننى أيقظتك من نوم هادئ .. هذه هى ضريبة الموهوبين أيها الشاب ، فهم مطلوبون دائمًا عندما يعجز الباقون عن العمل .

قال (نور) بثبات دون أن تهتز وقفته :

ــ أنا تحت أمرك دائمًا يا سيّدى القائد ، ما دام فى ذلك خير الوطن .

اتسعت ابتسامة القائد الأعلى وهو يقول :

ــ أنت شاب ممتاز أيها النقيب ، وهذا ما يدفعنى إلى الاعتماد عليك دائمًا .

تبدّلت ملامح القائد الأعلى إلى الجدّية الشديدة وهو يقول :

ــ هل زرت أسوان من قبل أيها النقيب ؟

أجابه (نور) :

ــ مرة واحدة يا سيّدى ، منذ عشر سنوات تقريبًا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

ــ هذا حسن .. أنت تعرف السدّ العالى الجديد بالطبع ؟

أجاب (نور) وقد قطّب حاجبيه ، محاولًا حصر أفكاره وترتيبها :

ــ نعم يا سيّدى .. هذا السدّ الجديد قد تم إنشاؤه منذ خمس سنوات تقريبًا ، بعد تصدع السد القديم ، بسبب الهزّات الأرضية المتكررة .. ولقد تم إنشاء هذا السد الجديد من مادة حديثة مقاومة للرطوبة ، وهو مزوّد بعدد من التوربينات النووية الجبّارة ....

قاطعه القائد الأعلى قائلًا :

ــ وهنا تكمن خطورة السدّ الجديد أيها النقيب ..

فهذه التوربينات النووية الجبارة ، يمكنها أن تتحوَّل إلى قنبلة نووية ساحقة شديدة التدمير ، لو أنها تعرَّضت إلى هزَّة أرضية قوية .

رفع (نور) حاجبيه دهشة ، وقال :

ــ ولكن هذا النوع الشديد من الهزَّات الأرضية ، لا يمكن علميًّا أن يحدث فى تلك البقعة من العالم يا سيِّدى .. صحيح أنها تتعرَّض لعدد من الهزَّات الأرضية المتوسطة ، ولكن مادة السد الجديد مقاومة لتلك الهزَّات بكفاءة عالية .

قال القائد الأعلى :

ــ نحن لا نخشى على مادة السدّ أيها النقيب .. الخطورة هنا تكمن فى وصول الارتجاجات الناشئة من الزلزال ، إلى الدرجة التى تحوِّل التوربينات النووية الجبارة إلى قنبلة .. ومن المؤسف أن هذا كاد أن يحدث أول أمس .

فتح (نور) فمه دهشةً ، ولكنه عجز عن النطق

عندما تابع القائد الأعلى قوله :

ــ من حسن الحظ أن الارتجاج الناشئ عن الهزة الأرضية لم يصل إلى الدرجة الخطرة وإن كاد .. المثير للقلق هنا أن هذه الهزَّة الأرضية صناعية .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ــ صناعية ؟ وكيف يمكن إثبات ذلك يا سيِّدى ؟

استند القائد الأعلى إلى مقعده ، وقال :

ــ هذا أمر بسيط للغاية أيها النقيب ، فهناك عدة ظواهر تسبق حدوث الهزَّات الأرضية ، مثل توتُّر الحيوانات ، وانخفاض مستوى المياه الجوفية .. كما أن هناك مركز تنبؤ بالزلازل شرق بحيرة ناصر .. ومن المفروض أن يشير هذا المركز إلى حدوث الهزَّات الأرضية عند بدء أول هذه الظواهر ، وهذا المركز يمتلك مجسًّا أرضيًّا يمكِّنه من رصد درجة الارتجاج المحتملة ، وإحداث ارتجاج عكسى إذا دعت الضرورة لمقاومة شدة الارتجاج الناشئ عن الهزة الأرضية .. ولقد فوجئ هذا

المركز بالهزة الأرضية مثلنا تمامًا .. كما لم تسبقها أية ظواهر .. وهذه العوامل تؤكد أن هذه الهزة الأرضية صناعية .

كان عقل (نور) يعمل بسرعة كعادته كلما واجه لغزًا غامضًا .. فقال :

ــ وكيف يمكن إحداث هزة أرضية صناعية فى مكان محدود ؟ وبالذات عندما يمثل هذا المكان خطورة بالغة ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ــ هذه هى مهمتك يا نقيب (نور) .. عليك أنت أن تجد الإجابة المقنعة عن هذا السؤال ، وعن كل الأسئلة الأخرى التى تدور حول هذا اللغز ، ولتضع فى اعتبارك أن هذه الهزة الصناعية يمكن أن تتكرر فى أية لحظة ، ولا بد أن مصطنعيها سيحاولون زيادة شدة الارتجاج فى المرة القادمة حتى يصلوا إلى غرضهم ، ولو أنهم نجحوا فى ذلك ــ وأرجو ألا ينجحوا ــ

سيتحول السد الجديد إلى قنبلة شديدة التدمير ، ستطيح بدائرة نصف قطرها ثلثمائة كيلومتر على الأقل ، هذا بالإضافة إلى اندفاع المياه المحتجزة وراء السد ، لتغرق جمهورية مصر العربية بأكملها ..

صمت القائد الأعلى قليلًا ، ثم عاد يقول :

ــ هذا يعنى أن العبء الملقى على عاتقك كبير أيها النقيب .. فلو نجحت فى مهمتك ــ وهذا ما أرجوه ــ سيبقى هذا الأمر سرًّا للأبد .. أما لو فشلت ــ لا قدَّر الله ــ فستكون أكبر كارثة شهدها العالم منذ قنبلة هيروشيما .

خيَّم الصمت ، على حين توترت عضلات وجه (نور) .. كان حديث الدمار يثير فى نفسه شعورًا بالاشمئزاز والضيق .. كان يكره العنف إلى درجة شديدة برغم أنه يعمل فى مهنة عنيفة ..

قطع تفكيره صوت القائد الأعلى يقول :

ــ ستصحب فريقك بالطبع أيها النقيب .. ولكن

ينبغى أن تخيّرهم أولًا .. لا بد أن يعلموا أنهم بقبولهم هذه المهمة ، سيكونون كمن يجلس فوق قنبلة زمنية ، وهو لا يعلم موعد انفجارها .. وفقكم الله أيها النقيب .. استعدوا للسفر غدًا مع الفجر .

عاد الأزيز مرة أخرى ، واختفت صورة القائد الأعلى ، وعادت اللوحة تبرق بذلك البريق الأخّاذ ، ثم ظهرت ألوانها الطبيعية مرة أخرى .. كان من المستحيل أن يتخيَّل أحد ، أن هذه الصورة الطبيعية الجميلة ، تحمل فى طياتها جهاز إرسال مباشر بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية .

عاد (نور) إلى النافذة .. كان المطر قد توقف وازداد لمعان القمر بانقشاع السحب .. نظر فى ساعته .. كانت تشير إلى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل .. التفت إلى جهاز التليفيديو الذى بجوار فراشه ، وقال لنفسه :

ـ لا بد من الاتصال بأفراد الفريق برغم تأخر الوقت .

وقال وهو يضغط أزرار الجهاز :

ـ يا لها من دعوة بعد منتصف الليل !! سأوقظهم من نومهم ؛ لأخيِّرهم بين قبول أو رفض إلقاء أنفسهم فى قلب الجحيم !.

* * *



٢ ـ تحدّى الموت ..

تنهّدت (سلوى) بعد فترة طويلة من الصمت وقالت :

ـ حسنًا .. لا بد أن أتحدث أنا ما دمتم جميعًا مصرُّون على الصمت .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، على حين عجز (رمزى) و (محمود) حتى عن الابتسام .. أشاحت (سلوى) برأسها ، وقالت :

ـ سأعود إذن إلى الصمت .

قال (نور) وهو يقود سيارته الصاروخية بمهارة :

ـ سأتحدث أنا إليك يا عزيزتى .. أحيانًا أشعر أنك أكثر شجاعة منّا جميعًا .. وأحيانًا أخرى أشعر بالعكس .. ولا تنسَىْ أننا متوجِّهون إلى قلب القنبلة النووية الضخمة .. وباختيارنا .

قالت (سلوى) :

ـ هذا أدعى إلى رفض الخوف أيها القائد .. لقد وافقنا جميعًا على القيام بهذه المهمة بمحض إرادتنا ، ولا داعى لأن نصبغها بالخوف .

قهقه (نور) ، وقال وهو يدير عجلة القيادة إلى اليمين :

ـ هذا ليس خوفًا يا عزيزتى ، وإنما هى الرهبة .. هناك مثل يقول : من يعرف أكثر يخف أكثر .

قاطعه (رمزى) قائلًا :

ـ هذا صحيح أيها القائد .. نحن نعلم أن السدّ الجديد يمكنه أن يتحوَّل فى أية لحظة إلى قنبلة نووية ضخمة ، وهذا يخلق بداخلنا شعورًا بالرهبة ، ولو أن هذا الشعور هو الخوف ما وافقنا على القيام بهذه المهمة أساسًا .

ضحك (محمود) ، وقال :

ـ كنت سأرفض هذه المهمة فى الواقع ، ولكننى خشيت أن يستعين النقيب (نور) بفريق جديد .. وأنا أشعر بالغيرة .

غمز (رمزى) بعينه وهو يشير إلى (سلوى) قائلًا :

ــ أعتقد أن هذا هو السبب المباشر فى قبول بعضنا هذه المهمة .. خاصة وأن جريدة أنباء الفيديو تقوم بتغطية موضوع الهزّة الأرضية السابقة .

قطّبت (سلوى) حاجبيها ، وقالت :

ــ لم أعلم بذلك إلّا الآن .. يبدو أنك ستقابل صديقتك الصحفيّة هناك أيها القائد .

ابتسم (نور) وقال وهو يشير أمامه :

ــ ها هى ذى مدينة أسوان .. سنصل إلى مدينة السدّ الجديدة بعد ثلاث دقائق على الأكثر .

ألقت (سلوى) نظرة سريعة إلى الطريق ، ثم عادت تلتفت إلى (نور) ، وتقول :

ــ هل تقوم صديقتك الصحفيّة بتغطية أخبار الهزّة الأرضية السابقة ؟

أومأ (نور) برأسه علامة الإيجاب ، وهو يقلّل من

سرعة سيارته ، استعدادًا لإيقافها فور دخول مدينة السد الجديدة ، وتجاهل تمامًا الضيق الذى ارتسم على ملامح (سلوى) ، وهو يوقف سيارته ، والتفت إلى رفاقه قائلًا :

ــ لا أحد هنا يا رفاق يعلم أن الهزّة السابقة صناعية .. عدا رجال مركز التنبؤ بالزلازل ، ومدير مشروع السدّ الجديد .. وهذا يعنى أن عملنا هنا سيكتسب صفة أخرى .. سيعلم الجميع أننا هنا كعلماء فى الهزّات الأرضية ..

أومأ الجميع برءوسهم موافقين ، وهم يغادرون السيارة الصاروخية الصغيرة .

* * *

بعد حوالى ساعة كانوا فى غرفة المهندس (أشرف صبحى) ، مدير مشروع السدّ الجديد ، وهو رجل متوسط الطول ، أصلع الرأس ، فوق عينيه نظارة طبية سميكة ، له وجه مستدير ، وكرش بارز ..

أخذ المهندس (أشرف) يتطلّع إليهم من وراء

عدسات نظارته السميكة ، ثم قال :

ـ أنتم إذن علماء فى مجال الهزّات الأرضية .. من العجيب أن أسماءكم جديدة على أذنى .

ثم تناول شريطًا من شرائط الفيديو التى أمامه ، وقال وهو يدسّه فى مكعب بللورى صغير :

ـ هذا جزء من أحدث الموسوعات عن علماء الكرة الأرضية .. به معلومات وأفلام وصور عن كل العلماء الذين يعملون فى مجالكم .. اسمحوا لى ..

تبادل الجميع نظرات الدهشة ، ثم قاطعه (نور) قائلًا :

ـ ولكنك يا سيّد (أشرف) ، الوحيد الذى يعلم أننا فريق خاص من المخابرات العلمية ..

ابتسم المهندس (أشرف) ، وقال :

ـ إننى أفعل ما سيقوم به رجال مركز التنبؤ بالزلازل أيها النقيب .. فلديهم نسخة من موسوعة الفيديو هذه ، وسيكتشفون فى الحال أنهم مخادعون .

ضحك (نور) ، وقال :

ـ هذا لو استعاروا موسوعتك يا سيّدى ..

قطّب المهندس (أشرف) حاجبيه ، وسأله باهتمام :

ـ هل تعنى ما دار بذهنى أيها النقيب ؟

ابتسم (نور) ابتسامة واثقة ، وقال :

ـ بالطبع يا سيّدى .. فالموسوعة التى لديهم ستحتوى على صورنا ومعلومات وأفلام عن نظريّاتنا ، وانجازاتنا فى مجال علم الهزّات الأرضية .

ضحك المهندس (أشرف) ، وقال :

ـ هذا رائع .. واضح أن المخابرات العلمية لا تهمل شيئًا على الإطلاق .

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال :

ـ ولكن الأمر لا يقتصر على مجرد التأكد من شخصياتكم .. هل نسيتم أن التعامل مع رجال مركز التنبؤ بالزلازل يحتاج إلى خلفيّة علمية كبيرة حول هذا الموضوع ؟

مطّت (سلوى) شفتيها ، وقالت :

ـ خلفيّة علمية كبيرة ؟ .. إنها مجرد معلومات عادية عن التردُّد الارتجاجى ، وعلم طبقات الأرض .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ـ ربما أمكننا إقناعهم ، لو حدثناهم عن الأشعة الارتجاجية الحديثة ، والارتجاج العكسى .

كانت الدهشة مرتسمة بأعمق صورها على وجه المهندس (أشرف) وهو يقول :

ـ رائع .. كنت أظنكم فريقًا عاديًّا من فرق الشرطة .

قال (نور) بلهجة جادة ، وقد ظهر بعض الضيق على وجهه :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدث عن العمل .. قد تهاجمنا الهزّة الأرضية فى أية لحظة .. وليس هذا وقت التفاخر ..

كانت عبارة (نور) هى المصباح الذى أضاء ، ليذكّر الجميع بخطورة الموقف .. فخيّم عليهم الصمت

لحظات ، ثم قال المهندس (أشرف صبحى) بحرج :

ـ هذا صحيح أيها النقيب ..

وقطّب حاجبيه وهو يتابع قائلًا :

ـ أعتقد أن خير مكان يبدأ منه بحثكم ، هو مركز التنبؤ بالزلازل .

قال (رمزى) بهدوء :

ـ هذا إذا لم تسبقنا الهزّة الأرضية إلى إحداث الانفجار النووى .

أطرق (نور) وقال بلهجة جادة :

ـ أنت محقٌّ يا عزيزى (رمزى) .. فهذه المهمة تذكّرنى بالسباق .. سباق مع الموت .

* * *

٣ — مركز التنبؤ ..

تطلّع مدير مركز التنبؤ بالزلازل إلى وجوه أفراد الفريق الأربعة ، وقال وهو يقطّب حاجبيه :

— أنتم إذن علماء فى علم الهزّات الأرضية .. من العجيب أننى لا أذكر أسماءكم ، أو حتى ملامحكم ، برغم أننى بحكم عملى وثيق الصلة بالعلماء فى هذا المجال .

ابتسم (محمود) ، وقال :

— يبدو أنك لم تقرأ البحث الذى قدمته حول الأشعة الارتجاجية الحديثة ..

تطلّع إليه مدير المركز بشك ، وقال :

— من العجيب أننى أهتم جدًّا بالبحوث الدائرة حول الأشعة الارتجاجية ، وبرغم ذلك .....

قطع الحديث دخول أحد رجال المركز ، الذى شعر بالحرج لاقتحامه الغرفة مع وجود زائرين .. ثم تطلّع إلى

وجه (سلوى) باهتمام ، وانفرجت أساريره ، وهو يمد يده لمصافحتها قائلًا :

— أعتقد أنك الدكتورة (سلوى) .. إننى سعيد جدًّا لمقابلتك .. أنا المهندس (حسين) مسئول الارتجاج العكسى فى المركز .

لم تكن دهشة (سلوى) وهى تصافح المهندس (حسين) ، بأقل من دهشة زملائها .. على حين أسرع مدير المركز يسأل المهندس (حسين) باهتمام :

— هل سبق أن قابلت الدكتورة (سلوى) من قبل يا (حسين) ؟

أجابه المهندس (حسين) وهو يتطلّع إلى (سلوى) :

— ليس بصورة شخصية يا سيّدى ، ولكننى كنت أشاهد أحد أجزاء موسوعة العلماء أمس فشاهدت صورتها .. إنها عالمة عظيمة يا سيّدى ، فى تتبع الهزّات الأرضية ورصدها .

عاد مدير المركز يتطلع إلى الجميع بشك ، ثم هزّ كتفيه ، وقال :

ـ حسنا .. ما دام الجميع يؤكدون ذلك ، فلا بد أننى قد أخطأت ..

ثم التفت إلى الفريق ، وقال :

ـ مذا تريدون من المركز أيها الشبان ؟

قال (نور) :

ـ لقد حضرنا إلى هنا للبحث عن الأسباب التى أدّت إلى حدوث هذه الهزّة الأرضية الأخيرة ، وكيف تم التنبؤ بها برغم كونها صناعية ؟

حدّق مدير المركز فى وجه (نور) بدهشة ، ثم قال :

ـ كنت أظن أن هذه المعلومات مدوّنة تحت بند (سرّى للغاية) .. كيف علمت أيها الشاب أن هذه الهزّة الأرضية صناعية ؟

كانت هذه العبارة التى قالها (نور) زلّة لسان ..

فلم يكن من المفروض أن يعلم أحد بهذا السّر ، حتى ولو كان من كبار علماء الهزّات الأرضية ..

تنحنح (نور) بارتباك ، وقال :

ـ هذا يرجع إلى طبيعتها وشدتها ياسيّدى المدير .. ليس من الطبيعى أن تحدث فى هذا المكان هزّة أرضية بهذه الشدة .. هذا راجع بالطبع إلى طبيعة وجيولوجية المنطقة .. ولهذا كان الأقرب إلى العقل أن تكون هذه الهزّة صناعية .

ابتسمت (سلوى) أمام هذا التبرير المنطقى الذى أورده (نور) .. وأمام سرعة بديهته المرتفعة ، وعلى عكسها ، قطّب مدير المركز حاجبيه ، وظهرت علامات الشك على ملامحه جليّة واضحة ، ثم أشار بسبابته إلى (نور) ، وقال :

ـ هناك سرٌّ غامض يحيط بكم أيها السادة .. آسف .. لن أسمح لكم بزيارة المركز .. حتى لو كانت أسماؤكم وصوركم فى موسوعة العلماء .. كما لن أساعدكم



تلفت (حسين) حوله ، ثم مال على أذن (رمزى) وهمس :

بأية بيانات .. حتى أكشف الستار عن سركم .

خيَّم الصمت على الغرفة حتى قال (نور) بهدوء :

ـــ هل تسمح لى بحديث سرى يا سيادة المدير .. وحدنا ؟

غادر الباقون الغرفة بهدوء ، بمجرد أن أشار المدير برأسه موافقًا .. وفى الخارج قال المهندس (حسين) بقلق :

ـــ هل لديكم فكرة عما يريده زميلكم من المدير ؟

تجاهل الجميع إجابة هذا السؤال ، وقال (رمزى) :

ـــ لماذا أنت قلق هكذا يا سيد (حسين) ؟

تلفت (حسين) حوله ، ثم مال على أذن (رمزى) وهمس :

ـــ ربما لأننى أعرف السبب الذى أدى إلى حدوث هذه الهزة الصناعية .

كان هذا القول بمثابة القنبلة ، فتفجرت ملامح

(رمزى) بالذهول والدهشة .. صاحت (سلوى) عندما رأت هذا التعبير على وجه (رمزى) :

— (رمزى) ، ماذا حدث ؟.. ماذا قال هذا الرجل ؟

وبدلًا من أن يجيبها أمسك بذراع الرجل ، وصاح :

— ماذا تقول ؟.. أخبرنى بربك عن هذا السبب .. لماذا لم تتكلم حتى الآن ؟

صاح المهندس (حسين) ، وقد تملكه الذعر :

— أنا لا أعلم شيئًا .. أنا لم أقل شيئًا ..

وفى نفس اللحظة خرج (نور) من مكتب المدير .. ولمّا شاهد هذا الارتباك الحادث ، قطّب حاجبيه وقال بضيق :

— ماذا يحدث هنا ؟

صاح (رمزى) ، وقد تملّكه انفعال شديد :

— هذا الرجل يدّعى أنه يعلم السبب الذى أدى إلى حدوث هذه الهزة الصناعية أيها القائد .

ظهرت الدهشة واضحة على وجه (نور) ، فأمسك بتلابيب الرجل ، وقال بصوت حازم :

— ماذا عندك يا رجل ؟.. كيف تخفى سرًا خطيرًا كهذا ؟

صاح المهندس (حسين) :

— وأنت ؟. لماذا يلقبك زميلك بالقائد ؟ أنتم مخادعون بلا شك .. لا بد أنكم من رجال الشرطة ..

قال (نور) بلهجة جافّة حازمة :

— هذا الأمر لا يعنيك .. أريد معرفة ما عندك .

قال المهندس (حسين) :

— لقد .. لقد نشأ هذا الزلزال الصناعى بواسطة جهاز الارتجاج العكسى .. لقد أطلقه أحدهم بقوة .. لقد شاهدته يعمل عليه قبل حدوث الهزة الأرضية بلحظات .

كانت عينا (نور) تبرقان غضبًا ، وهو يسأل المهندس (حسين) بقسوة :

— من هو ؟.. من هو هذا الذى رأيته يعمل على جهاز الارتجاج العكسى ؟

خرج مدير المركز فى هذه اللحظة من غرفته ، متسائلًا عن سبب هذا الضجيج ، عندما أشار إليه المهندس (حسين) ، وصاح بتأكيد :

— إنه هذا الرجل .. المهندس (على كامل) .. مدير المركز هو الذى تسبب فى هذه الهزة الأرضية الصناعية .. أقسم لكم .

* * *



٤ — لحظات الخطر ..

امتقع وجه المهندس (على) ، وصاح بذعر :

— ما هذا الذى تقوله أيها المجنون ؟.. كيف تلقى بهذا الاتهام جزافًا ؟

صاح المهندس (حسين) بعناد :

— أنا لا ألقى بالاتهامات جزافًا .. لقد رأيتك تجلس إلى جهاز الارتجاج العكسى وحدك قبل حدوث هذه الهزة الأرضية الصناعية بثوان .. برغم أن هذا لم يكن واردًا فى برنامج المركز .. ماذا كنت تفعل هناك إذن ؟

ارتبك المهندس (على) ، وأشاح بذراعه وهو يقول :

— هذا لا يعنى أننى كنت أقوم بإطلاق الهزة الصناعية ..

قال (نور) مقاطعًا :

— ماذا كنت تفعل إذن يا سيادة المدير ؟

كانت ملامح المهندس (على) تنم على ارتباك شديد .. كان كالفأر فى المصيدة .. ولم يرحمه (نور) ، فعاد يقول بلهجة جافة وصوت حازم :

— لم أسمع الإجابة بعد يا سيّدى .

سقط المهندس (على) على مقعد قريب ؛ وقال وهو يفرك أصابعه :

— كنت أحاول التعجيل بإنجاز بعض الأبحاث التى أقوم بها عن الارتجاج العكسى .

ثم صاح وقد ترقرق الدمع فى عينيه :

— ولكننى لم أفعل ذلك .. لم أطلق الهزّة الأرضية .. صدقونى .. لقد غادرت غرفة جهاز الارتجاج العكسى قبل حدوث الزلزال .. أقسم لكم .. أقسم لكم .

تبادل أفراد الفريق النظر فيما بينهم .. كادت (سلوى) تتكلم ، عندما سمعت (نور) يقول بلهجة

هادئة ، وبابتسامة على شفتيه :

— لا داعى للقسم يا سيّدى المدير .. أنا أصدقك .. لا يمكن أن تكون أنت المسئول عن ذلك .

نظر إليه الجميع بدهشة ، فقال وهو يربّت على كتف المهندس (على) :

— لن أكرر هذا الخطأ يا رفاق .. هل تذكرون قضيتنا السابقة ؟. قضية الطائرة التى أصيبت بالجنون ؛ لم يكن من المنطقى أن يتسبّب رجل فى تدمير قاعدة ، وهو واحد من أفرادها ، وهذا ينطبق تمامًا على حالة المهندس (على) .. كيف يمكنه أن يصطنع هزّة أرضية ، يمكنها أن تحوّل السدّ الجديد إلى قنبلة نووية ضخمة ، وهو يعلم أنه سيكون أول ضحاياها ؟.. فلو انفجر السدّ لدمّر مساحة نصف قطرها ثلاثة كيلومتر على الأقل ، وهذا لا يبعد عن السدّ إلا بمقدار ثلاثة كيلومترات .

قفز المهندس (على) ، وشدّ على يد (نور) وهو يقول :

— هذا من حسن حظى .. من حسن الحظ أن أجد رجلًا ذكيًّا مثلك ، وإلّا ....

ابتسم (رمزى) وقال :

— من حسن حظ الجميع يا سيّدى ، أن تنجب مصر رجلًا كالنقيب (نور) .

أطرق المهندس (حسين) ، وقال بحرج :

— أنا آسف .. آسف يا سيادة المدير .. أعتقد أن لدىّ عملًا عاجلًا .. اسمحوا لى بالانصراف .

وما أن ابتعد المهندس (حسين) ، حتى قال المهندس (على) وهو يضغط على أسنانه :

— إنه هكذا دائمًا .. يطمع فى مركز مدير المركز .. وهو يحاول إزاحتى من طريقه بكل الوسائل .. الشريفة وغير الشريفة .

قالت (سلوى) وهى تتطلّع إليه باهتمام :

— هل تعتقد يا سيّدى أن الهزّة الأرضية يمكن إحداثها بواسطة جهاز الارتجاج العكسى ؟

أجابها المهندس (على) :

— نعم أعتقد هذا ..

قال (رمزى) بنفس الاهتمام :

— ولكنك قلت إنك لم تغادر غرفة الارتجاج العكسى ، إلّا قبل حدوث الهزّة الأرضية بثوان

قال المهندس (على) :

— من السهل برمجة جهاز الارتجاج العكسى ، بحيث يعمل أوتوماتيكيًا فى اللحظة التى يحدّدها المبرمج ، وبالقوة المطلوبة .. وهذا ما نفعله دائمًا عندما تتنبّأ أجهزتنا بقدوم زلزال .

قطّب (نور) حاجبيه ، وقال :

— وهذا يعنى أن أيًا من العاملين هنا يمكنه وضع البرنامج المطلوب .. كم رجلًا يعملون هنا يا سيّد (على) ؟

أجابه المهندس (على) بسرعة :

— خمسة مهندسين فقط أيها النقيب .. بالإضافة إلىّ طبعًا .

قال (محمود) وهو يحك ذقنه :

ــ ألا يحتمل يا سيدى أن يتم اصطناع هذه الهزة ، باستخدام الأشعة الارتجاجية ؟

زمّ المهندس (على) شفتيه ، وقال :

ــ هذا محتمل بالطبع ، ولكن من يمكنه إقامة جهاز الأشعة الارتجاجية ، دون أن تكشفه أجهزة الأمن ؟

سأله (نور) باهتمام :

ــ كم عاملاً هنا يجيدون استخدام جهاز الارتجاج العكسى يا سيدى ؟

أجابه المهندس (على) :

ــ ثلاثة فقط أيها النقيب باستثنائى طبعًا .. المهندس (حسين) ، والمهندس (فهمى) ، والمهندس (سمير) .

قطّب (نور) حاجبيه ، وأشار بيده ليتكلم ، ولكنه شعر فجأة بجسده يميد به .. واصطدم بالجدار بقوة ، وتعالت صيحة من (سلوى) .. كان المكان كله

يرتج بقوة ، على حين صرخ المهندس (على) قائلاً :

ــ يا إلهى !! لقد عادت الهزة الأرضية مرة ثانية .. سينفجر السد .. سيقضى علينا جميعًا ..

أمسك (نور) بيد (سلوى) ، وقال وهو يجذبها وراءه ، مقاومًا ارتجاج المكان :

ــ أسرعى يا عزيزتى .. إلى غرفة الارتجاج العكسى .. هيا أيها المدير .

كان الجميع يتخبطون فى الجدران ، وهم يسرعون نحو غرفة الارتجاج العكسى .. تعدد سقوطهم وقيامهم بسبب ارتجاج المكان بشدة .. حتى وصلوا إلى الغرفة .. وصاح المهندس (على) وهو يحاول فتح باب الغرفة :

ــ اللعنة !! لقد نسيت بطاقة الدخول الإليكترونية .. لن يمكن فتح هذا الباب اللعين بدونها .

دفعه (نور) بعيدًا ، وسحب مسدس الليزر الخاص به ، وصاح وهو يصوبه إلى رتاج الباب الآلى :

ــ ابتعدوا جميعًا .. يجب أن أحاول تحطيم هذا

الرُتاج .. يجب .. مستقبل مصر كلها متوقّف على تحطيمه .

أضاء المكان كله ، وتردّد فى أنحائه صوت يشبه الفحيح ، عندما أصابت أشعة الليزر التى يطلقها (نور) رتاج الباب الإليكترونى .. كان الرتاج قويًا ، والمكان يرتج بشدة ، فاحتاج (نور) إلى عدد كبير من طلقات الليزر حتى تحطم الرتاج ، وتناثر بدوىّ شديد .. اندفع الجميع إلى داخل الغرفة ، وأسرع المهندس (على) يجلس أمام جهاز الارتجاج العكسى .. وسمعه الجميع يقول بذعر :

ــ يا إلهى !! إنه يعمل .. إنه يعمل وحده .. لقد أطلق أحدهم هذه الهزّة الصناعية بواسطة جهاز الارتجاج العكسى .. إن الجهاز يرفض الاستجابة لأوامرى .. إنه يرفض التوقّف عن العمل .. سينفجر السدّ .

صاحت (سلوى) :

ــ أنت تضغط على الزرّ الخاطئ أيها المهندس ..



دفعه (نور) بعيدًا ، وسحب مسدس الليزر الخاص به ، وصاح وهو يصوّبه إلى رتاج الباب الآلى ..

عليـــك بالضـــغط على هـــذه الأزرار الزرقاء بالتوالى وبسرعة ..

ثم أسرعت تتولى هذا العمل بمهارة ، فضغطت على الأزرار الزرقاء بتسلسل سريع ، وقبل أن تضغط الزرّ الأخير دفعها الارتجاج بعيدًا ، ثم اصطدمت بـ (محمود) وسقط كلاهما أرضًا ..

أسرع (نور) يضغط الزرّ الأخير قبل أن يدفعه الارتجاج بعيدًا هو و (رمزى) .. أخذ جهاز الارتجاج العكسى يطلق صفيرًا متقطعًا ، على حين تخفت حدة الارتجاج بالتدريج .. وما هى إلا لحظات حتى توقفت الهزّة الأرضية تمامًا ...

قام (نور) ينفض الغبار عن نفسه ، على حين خيّم الصمت تمامًا إلى أن قطعه بقوله :

ــ لقد توصلنا إلى كيفيـة صنـع الهزّة الأرضيـة يا رفاق .. بقى أن نعرف .. من ؟

* * *

٥ ــ مفاجأة فى المركز ..

جلس أفراد الفريق فى غرفة مكتب المهندس (على) ، الذى أخذ يقرأ بعض المعلومات التى تدوّن على شاشة الكمبيوتر الذى أمامه ، ثم التفت إلى (نور) وقال :

ــ الوحيد الذى حصل على إجازة فى الفترة الماضية ، هو المهندس (سمير) ، وما يزال فى إجازته حتى اليوم .. أما المهندس (فهمى) والمهندس (حسين) فهما هنا منذ شهر كامل لم يغادروا المركز .

سأله (نور) باهتمام :

ــ ومتى كان من المفروض أن تنتهى إجازة المهندس (سمير) ؟

أجابه المهندس (على) :

ــ اليوم صباحًا .. ولكنه لم يحضر حتى الآن .

قال (محمود) :

ـــ بالطبع .. كان ينتظر أن ينفجر السد صباح اليوم ، بحسب البرنامج الموضوع فى جهاز الارتجاج العكسى .. فكيف يعود إذن ؟

أشار إليه (نور) ، وقال وهو يهز إصبعه فى وجهه :

ـــ لا تتسرع باتهام أحد يا عزيزى (محمود) .. ربما كان تأخره عن الحضور لسبب آخر .

قال (رمزى) بهدوء :

ـــ ولكن هذا يخالف نظريتك أيها القائد .. فلو أن المسئول عن هذه الهزة الصناعية يعلم نتائجها المنتظرة ، فمن الطبيعى أن يبتعد تمامًا عن مكان الانفجار .. والوحيد الذى ابتعد تمامًا عن المكان هو المهندس (سمير) .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ لقد تعلمت أن أتروى يا عزيزى (رمزى) .. لا بد أولًا أن أجد الدليل على ما تقول .

هزت (سلوى) رأسها ، وقالت بضيق :

ـــ هل تعتقد أن الوقت سيكفى للتروى أيها القائد ؟ إننا نجلس على قنبلة زمنية كما تقول ، وليس أمامنا وقت كافٍ للتمحيص .. كما أنه من الواضح أن المهندس (سمير) هو المسئول عن ذلك .

وافقها المهندس (على) قائلًا :

ـــ هذا صحيح أيها النقيب .. لماذا الانتظار ما دامت الأمور واضحة إلى هذه الدرجة ؟

قطّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـــ شعور داخلى يا سيدى ، يدفعنى إلى الاعتقاد بأن الأمر ليس بهذه البساطة التى يبدو بها .

ضحك (رمزى) ، وقال :

ـــ هذا لأن هذه هى المرة الأولى ، التى نتوصل فيها إلى حل لغز القضية فى وقت قصير وببساطة .. عقلك الباطن اعتاد على أن لكل قضية حلًا غامضًا ، وهو لذلك يرفض الاقتناع ببساطة هذه القضية .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أعتقد أن الأمر كذلك يا عزيزى (رمزى) .. فهذا الشعور الذى يراودنى مألوف لى جدًا .. إنه الشعور بأن الخطر لم يَزُلْ بعدُ ..

ابتسم (رمزى) وقال :

ـ هذا لأنك لم تُلقِ القبض على المهندس (سمير) بعد .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ ربّما .. ولكننى مصرٌّ أن شعورى هذا يختلف عما تتصوَّره يا عزيزى (رمزى) .

وفى نفس اللحظة التى نطق فيها (نور) عبارته الأخيرة ، دلف رجل فارع الطول إلى غرفة مكتب المهندس (على) ، الذى هبَّ واقفًا ، وهو يشير إلى الرجل :

ـ هذا هو أيها السادة المهندس (سمير) ، المسئول الأول عن الزلزال الصناعى .

توقَّف المهندس (سمير) فى مكانه مبهوتًا ، ثم قال وهو ينقل بصره بين الحاضرين فى حيرة :

ـ الزلزال الصناعى ؟.. هل تقصد يا سيدى أن هذه الهزات الأرضية الأخيرة صناعية المنشأ .

بادره (نور) بسؤال مفاجئ :

ـ أين كنت طوال الأيام الماضية يا سيد (سمير) ؟

التفت إليه (سمير) بحدة ، وتأمله بصمت ، ثم قال ببرود :

ـ فى إجازة .. إجازة رسمية .. ثُمَّ من أنت ؟.. وبأى حق توجِّه إلىَّ هذا السؤال ؟

وضع (نور) كفه على كتف (سمير) ، وقال بلهجة حازمة :

ـ النقيب (نور) من المخابرات العلمية .. أنت متهم يا سيد (سمير) بإحداث هزة أرضية صناعية . كمحاولة لتدمير السد الجديد .

أزاح (سمير) كف (نور) ، وهو يقول بضيق :

ـ ما معنى هذه السخافات أيها النقيب ؟ لقد كنت فى إجازة مرضية طوال الأيام الماضية .

سأله (رمزى) باهتمام :

ـ أين كنت طوال إجازتك يا سيّد (سمير) ؟

أجاب (سمير) بضيق ونفاد صبر :

ـ فى بلدتى .. فى الأقصر .. بالله عليكم ما معنى هذه السخافات ؟

تبادل الجميع النظرات ، ثم سأله (نور) بهدوء :

ـ هل لديك ما يثبت تواجدك فى الأقصر طوال الأيام الماضية أيها المهندس ؟

أشاح (سمير) بذراعه قائلًا :

ـ بالطبع .. لدىّ ألف شاهد على الأقل .

أطرق (نور) قليلًا ، على حين خيّم الصمت على الباقين ، عدا المهندس (سمير) الذى قال بغضب :

ـ ما زلت مصرًا على معرفة سبب هذه الاتهامات المتتالية .

قصّ عليه (نور) الأمر بالتفصيل ، ثم ختم حديثه بقوله :

ـ وبهذا كان تواجدك فى الأقصر طوال الفترة الماضية ، دليلًا قاطعًا على عدم محاولتك تفجير السدّ الجديد ، فأنت تقع فى دائرة التدمير .. وآسف على اتهامك فى البداية .

قال (سمير) بجدية :

ـ الأمر أخطر مما توقعت .. هل تعنى أننا نجلس الآن فوق قنبلة موقوتة ، لا يدرى أحد متى تنفجر ؟

ضحكت (سلوى) وقالت :

ـ كان هذا قبل كشفنا لسبب الهزات الأرضية أيها المهندس .. أما الآن ....

قاطعها (سمير) قائلًا :

ـ أما الآن فلا أحد يدرى ، إذا كان جهاز الارتجاج العكسى مبرمجًا للقيام بهزّة جديدة أم لا .. بمعنى أصح .. هل نبحث عن المسئول فقط ؟.. أم نكتب وصايانا أيضًا ؟

خيّم الوجوم على الجميع ، على حين قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال بضيق :

ـــ هذا صحيح .. كيف فاتنا أن نبحث عن ذلك ؟

ثم التفت إلى رفاقه قائلًا :

ـــ يبدو يا رفاق أننا ما زلنا نجلس فوق القنبلة الزمنية .. وأن انفجارها متوقَّع بين لحظة وأخرى ....

* * *



٦ ـــ الدفاع ..

اقتربت (سلوى) بهدوء من (نور) ، الذى كان يجلس مسترخيًا على مقعد وثير ، وقد أسند ذقنه إلى أحد راحتيه ، وقطَّب حاجبيه ، واستغرق فى تفكير عميق .. قالت بصوت خافت :

ـــ إلى أين ذهب فكرك أيها القائد ؟

التفت (نور) إليها ، وابتسم ثم قال :

ـــ إلى البحث عن حلّ مقنع لهذا اللغز يا عزيزتى .

جلست على مقعد قريب ، وقالت :

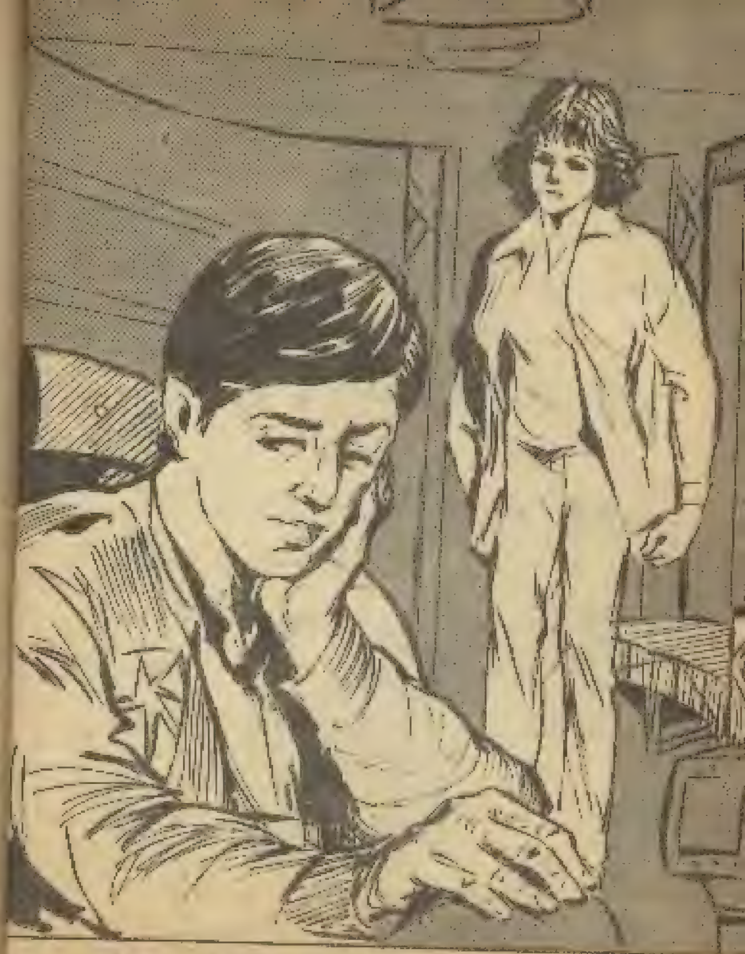
ـــ وكذلك (رمزى) و (محمود) .. كلٌّ منهما يضع النظرية تلو الأخرى لتفسير الأحداث .

ضم (نور) كفَّيه أمام وجهه ، وسألها باهتمام :

ـــ وما الذى توصلا إليه ؟

ضحكت (سلوى) ، وقالت :

ـــ (رمزى) كعادته ينسب الأمر كله إلى الحالة


اقتربت (سلوى) بهدوء من (نور) الذى كان يجلس مسترخيًا

النفسية للعاملين فى المركز .. يقول إن أحدهم حاول إحداث الهزة الأرضية انتقامًا من المهندس (على) ؛ لأنه يحتل منصب مدير المركز منذ خمس سنوات ، برغم أن التعيين فى هذا المركز يتم تبادليًا بين المهندسين العاملين هنا .. يقول (رمزى) إن أحد العاملين هنا يحقد على المهندس (على) ، وفى فورة جنون قرَّر الانتقام على طريقة شمشون فى الأساطير القديمة .. علىَّ وعلى أعدائى .

صمت (نور) فترة مقطبًا حاجبيه ، ثم عاد يسأل (سلوى) :

ـــ و (محمود) .. هل توصل إلى نظرية ما ؟

ابتسمت (سلوى) وقالت :

ـــ إنه يحاول التوصل إلى نظرية تثبت أن كل هذا يحدث بفعل الأشعة الارتجاجية لا بفعل جهاز الارتجاج العكسى .. برغم أننا جميعًا رأينا جهاز الارتجاج العكسى يعمل لإحداث الهزة الأرضية الصناعية .

ثم ضحكت وهي تقول مداعبة :

ــ مالك تقطِّب حاجبيك هكذا أيها القائد ؟. هل تحاول استخلاص نظرية جديدة ؟

ابتسم (نور) وقال :

ــ ربما .. ربما يا عزيزتي .. لا بد أولًا أن أتحدث إلى المهندس (فهمي) .. لا بد من سماع ما يقوله حتى يمكنني بناء رأى سليم .

وما هي إلا دقائق ، حتى كان (نور) يقف أمام المهندس (فهمي) .. وهو شاب قصير ، بدين ، مستدير الوجه ، باسم الثغر .. أجاب على (نور) بهدوء قائلًا :

ــ تسألني عن سبب هذه الهزة الصناعية أيها النقيب ؟ حسنًا .. كيف أجيبك ؟ أنت تعلم الإجابة جيدًا ، ولكنك تحب العبث بالآخرين .

ابتسم (نور) وقال :

ــ ربما أحب أن استمع إلى رأيك يا سيد (فهمي) .

أطرق (فهمي) ، وأخذ يعبث بقدمه فى أطراف المائدة ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة ، ثم رفع رأسه بغتة وقال :

ــ اسمع أيها النقيب ، عدد العاملين بهذا المركز ستة أشخاص فقط ، ولهذا تنتقل الأخبار بسرعة ودقة .. ونحن نعلم جميعًا أخبار قدومك وفريقك على هيئة علماء فى الهزات الأرضية ، وإبدالكم موسوعة العلماء بأخرى تحتوى على صوركم ، وأعمالكم الوهمية .. ثم استهانتكم حتى بهذا السّر واعترافكم به بمجرد توجيه الاتهام إلى المهندس (على) .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ كنا أمام فرصة ذهبية .. رجل يقول إنه يعرف السبب فى حدوث الهزّة الأرضية الصناعية .. ويرفض الإدلاء بذلك .. ثم إن أحد زملائي سقط بلسانه ، فأطلق علىّ لقب القائد .. لم أجد فائدة من الاستمرار فى إخفاء الأمر .. بل لقد كان كشف الأمر يعطينا

فرصة الحصول على سرٍّ حضرنا من أجله .. فلماذا لا أعلن الأمر إذن ؟

ابتسم المهندس (فهمى) بخبث ، وقال :

ـــ هل تحاول إقناعى بذكائك أيها النقيب ؟

ضغط (نور) على أسنانه ، وقال بحزم :

ـــ لست هنا لأتحاور أيها المهندس .. لقد سألتك سؤالا محددا .. هل لديك فكرة عن سبب حدوث هذه الهزّة الأرضية ؟

صاح المهندس (فهمى) بغضب :

ـــ لماذا اللف والدوران أيها النقيب ؟.. كلنا نعلم أنك تأكدت من أن جهاز الارتجاج العكسى هو المتسبب فى إحداث الهزات الأرضية .. وأنك أنقذت الموقف صباح اليوم ؛ بتحطيم رتاج الباب الإليكترونى .. وأنكم قد اتهمتم (سمير) .. هل هذا دورى ؟.. هل أنا المتهم هذه المرّة ؟

سأله (نور) بحزم وجفاء :

ـــ هل أنت مرشح لمنصب مدير المركز هذه الدورة يا سيِّد (فهمى) ؟

ضحك المهندس (فهمى) ، وقال :

ـــ لقد أخطأت هذه المرّة أيها النقيب .. أنا لست مرشحا لذلك المنصب .. فأنا أصغر العاملين سنًّا .. أمامك فقط المهندس (حسين) والمهندس (سمير) .

* * *

بعد حوالى ساعة كان (نور) يجلس مع أفراد فريقه فى غرفة منفصلة ، عندما قال (رمزى) :

ـــ لو اتبعنا نظريتى لكان كلٌّ من المهندس (حسين) والمهندس (سمير) مشتبه فيه .. فكلاهما يحقد على المهندس (على) ؛ لأنه يرشح سنويًّا لهذا المنصب ، برغم أنهم جميعًا خريجو دفعة واحدة ، وأن الترشيح لهذا المنصب يتم دوريًّا كل سنة .. ومن الطبيعى أن يطمع كلٌّ منهما فى هذا المنصب ..

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ أنا أعتقد أن كليهما ليس من الصنف الذى

يصاب بهذا النوع من الجنون ، الذى يدفعه لتدمير نفسه مع عدوه .

اعتدل (محمود) فى مقعده ، وقال :

ـ لماذا لا نضع احتمال إحداث هذه الهزة الأرضية بواسطة الأشعة الارتجاجية ؟ فى هذه الحالة يتم ذلك من بعيد ، ويصبح المسئول عن ذلك فى مأمن من الانفجار النووى والفيضان الناجم عنه ..

هزت (سلوى) رأسها بقوة ، وقالت :

ـ أعترض على ذلك .. حتى الأشعة الارتجاجية لها دلائل واضحة .. إنها على الأقل تصنع تموُّجات شديدة على الأسطح المائية .. وهناك بحيرة ناصر .. لم يقرّ أحد بحدوث مثل هذه التموُّجات على سطحها .. كما أنها تتسبب فى حدوث انفجار الأذن الداخلية للأشخاص الذين يقعون فى دائرة تموُّجاتها ، ولم تسجل حالة واحدة لانفجار الأذن الداخلية فى المنطقة .. كل هذا ينفى استخدام الأشعة الارتجاجية فى إحداث هذا الزلزال الصناعى .

أومأ (محمود) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. لقد تفوَّقت علىَّ يا عزيزتى فى مجال علم الإشعاع .

ابتسمت (سلوى) فخرًا على الرغم منها ، على حين سأل (نور) (محمود) باهتمام :

ـ هل يمكن صنع جهاز الأشعة الارتجاجية هذا يا عزيزى (محمود) ؟

أجابه (محمود) :

ـ لو أنك تقصد صنعه هنا ، فالإجابة هى نعم .. ولكننى أفضل إحضار جهاز كامل الصنع من مركز الأبحاث العلمية التابع للمخابرات .. هذا أوفر للوقت .

فكَّر (نور) قليلًا ، ثم قال :

ـ أنت على حق ، وسأسند إليك هذه المهمة .. ستسافر الآن إلى القاهرة ، وتعود بالجهاز .

ابتسم (محمود) وهو ينهض قائلًا :

ـ لقد أوقعت بنفسى فى هذا المأزق .. حسنًا ..

سأسافر الآن ، برغم أننا لم نتمتع بلحظة راحة ، منذ قدومنا هذا الصباح .

وما أن انصرف (محمود) ، حتى التفتت (سلوى) إلى (نور) وسألته :

ــ أعلم أنك تحتاج إلى جهاز الأشعة الارتجاجية ، كأسلوب دفاعى أيها القائد .. ولكن .. هل تعتقد أن جهاز الارتجاج العكسى ما زال مبرمجًا للقيام بهجوم آخر ؟

أجابها (نور) وهو يسرح ببصره مفكرًا :

ــ أنا واثق من ذلك يا عزيزتى (سلوى) .. فالمجرم المسئول عن إحداث هذه الزلازل الصناعية لن يسمح لنا بإحباط خطته ..

قال (رمزى) ببساطة :

ــ هذا صحيح من وجهة نظر الطب النفسى أيها القائد .. فالمجرم دائما يظن أنه أذكى من رجال الشرطة .. وكلما نجح فى خطوة من خطوات جريمته ازداد

ثقة بنفسه ، وازدادت خطواته تهوّرا .. وهذا ما يوقع أعتى المجرمين فى معظم الأحيان .

فرقع (نور) أصابعه ، وقال :

ــ بالضبط .. وهذا ما أعتمد عليه يا عزيزى الطبيب النفسى .. فى لحظة ما سيطلق المجرم هزّة أرضية مدمّرة .. وما دامت هذه الهزّات تحدث بواسطة جهاز الارتجاج العكسى ، فإن الأشعة الارتجاجية العادية تصبح بمثابة مضاد لها .. وهذا هو السبب الذى من أجله أرسلت (محمود) لإحضار جهاز الأشعة الارتجاجية ..

صاحت (سلوى) :

ــ ولماذا تحطيم الأعصاب هذا ؟.. لماذا لا نوقف عمل جهاز الارتجاج العكسى ، وننهى المشكلة ؟

أطرق (نور) ، وقال :

ــ لقد راودنى هذا الحل يا عزيزتى ، ولكننى خشيت أن يكون هذا هو المطلوب .. أن نوقف جهاز الارتجاج العكسى عن العمل ، ونصبح هدفا سهلا للزلازل الصناعية الخارجية ..

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وقال بحزم :

ـــ ليس أمامنا سوى المخاطرة باستمرار عمل الجهاز يا رفاق .. ولندعُ الله أن يسقط المجرم ، قبل أن يطلق الهزّة الأرضية المدمّرة والأخيرة .

* * *



٧ ـــ مفاجأة صحفية ..

تمطّى المهندس (على) بتعب ، وتناول منديله ليجفف عرقه الغزير برغم برودة الجو ، ثم التفت إلى النقيب (نور) ، وقال :

ـــ لا مجال للشك .. لا يوجد أى برنامج إضافى بداخل جهاز الارتجاج العكسى .

رفع (نور) رأسه ، وقال :

ـــ هذا يعنى أننا فى أمان فى الوقت الحالى .

أومأ المهندس (على) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ أستطيع أن أؤكد ذلك .. لقد فحصت البرامج بالجهاز بدقة بالغة .. صدّقنى ، هذا أمر متعب للغاية .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ هذا واضح على ملامحك يا سيّدى المدير .. ما رأيك فى أن نعود إلى مكتبك ؟

تناول المهندس (على) سترته ، وابتسم قائلاً :


ثم أشار إلى (نور) قائلا: «خطة أيها النقيب .. سأقوم بالاتصال بالمكتب».

ـ اقتراح ظريف أيها النقيب .. سأوافق عليه بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نور) قائلاً :

ـ خطـة أيها النقـيب .. سأقـوم بالاتصال بالمكتب .. كنت قد أعطيت موعدا لجريدة أنباء الفيديو .. إذا كان محررهم قد وصل ، سأحاول إصلاح مظهرى ، قبل أن يلتقط لى عدة صور وأنا بهذا المظهر المزرى .

ابتسم (نور) وتسلل خارجا .. كان المهندس (سمير) يقف بالخارج .. فوجئ (نور) بوجوده فسأله :

ـ هل حضرت من أجل عمل يا سيدى ؟

هزَّ المهندس (سمير) رأسه ، وقال :

ـ نعم ، أريد استكمال بعض أبحاث حول الارتجاج العكسى .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وسأله باهتمام :

ـ هل تجرى أبحاثا حول الارتجاج العكسى أيها المهندس ؟

ابتسم (سمير) ، وقال :

ــ لقد حصلت فى الشهر الماضى على جائزة (حورس) العلمية أيها النقيب .. وأنا مرشح للحصول على جائزة (نوبل) فى نهاية هذا الشهر .. ولو وفقنى الله إلى ذلك فسأكون أول مصرى يحصل عليها فى مجال الهزات الأرضية والارتجاج العكسى .. فهى قاصرة على اليابانيين حتى الآن .

قبل أن ينطق (نور) بكلمة ، خرج المهندس (على) من حجرة الارتجاج العكسى ، وهو يقول :

ــ أعتقد أيها النقيب أننى سأضطر إلى تهذيب مظهرى .. تصوّر جريدة أنباء الفيديو أرسلت ....

ثم توقّف عن الكلام فجأة عندما وقع بصره على المهندس (سمير) ، وظهر على ملامحه الضيق الشديد ، وقال بجفاء :

ــ مرحبًا يا (سمير) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

اتجه (سمير) بهدوء إلى غرفة الارتجاج العكسى ، وهو يقول ببرود :

ــ يمكنك أن تسمع الإجابة من النقيب .. لقد أخبرته لتوّى بها .

سار المهندس (على) بجوار (نور) صامتًا فترة ، ثم قال بضيق :

ــ ما زلت مصرًا على أن لهذا الرجل يدًا فيما حدث .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ سيظهر كل شىء قريبًا يا سيّدى .

بعد لحظات وصلا إلى مكتب المهندس (على) .. وما أن اجتاز (نور) عتبته ، حتى بهرته الأضواء الشديدة المتألقة بداخله .. والحركة الدائبة .. اقترب منهما أحد الرجال الذين يملئون المكتب ، وقال :

ــ أيكما المهندس (على) ؟

أشار إليه (نور) ، وقال :

ــ ها هو ذا .. أمامك تمامًا .

صافحهما الرجل وهو يقول بلهجة متعجّلة :

ـ عذرًا .. نحن نعد المكان للتصوير .. فهذا الزلزال الأخير يشد انتباه الرأى العام العالمى ، ولا بد من تغطيته بشكل يشبع المشاهدين .

مال (نور) على أذن المهندس (على) ، وهمس :

ـ عذرًا يا سيّدى .. ولكننى أجد من واجبى أن أنبهك إلى ضرورة كتمان الأمر .. حاول إيجاد حلّ علمى بدلًا من الإشارة إلى كون هذه الزلازل صناعية .

ابتسم المهندس (على) ، وقال هامسًا :

ـ ليس عليك أن تذكّرنى بذلك ، فأنا أعى الأمر جيدًا .

ثم تركه ، واتجه بوقار إلى مكتبه ، وجلس إليه ، وابتسم ابتسامة سينمائية ، وهو يواجه عدسات الهولوغراف المجسّم ، وهى تلتقط له عدة صور بارزة ..

ابتسم (نور) وهو يشاهد هذا الاهتمام البالغ الذى يواجه به المهندس (على) كاميرات الهولوغراف .. وعلى الرغم منه بدأ عقل (نور) يعمل .. قال لنفسه :

ـ هل من المحتمل يا ترى ، أن يحاول المجرم تزويد جهاز الارتجاج العكسى ببرنامج هزّة أرضية جديدة ؟... أعتقد أنه لا بد أن يحاول ذلك ، فهذه فرصته الأخيرة .. وإلّا فلماذا قام بفعلته القذرة هذه ؟

ثم تنهّد بأسى وهو يفكّر :

ـ كيف يقدم إنسان على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء ؟.. ألم يتصوّر أبدًا مدى بشاعة الجريمة التى يحاول ارتكابها ؟.. إن انفجار السدّ الجديد وحده كفيل بالقضاء على ثلث سكان جمهورية مصر العربية تقريبًا .. والفيضان الذى سينشأ حتمًا بسبب تدمير السدّ ، سيؤدى إلى القضاء على أغلبية البقية الباقية من السكان ... يا للهول !! إنها أبشع كارثة سوف يشهدها العالم منذ قنبلة هيروشيما .. آه لو يقع هذا المجرم فى يدى !! لن أرحمه .

وفجأة توقفت أفكاره تمامًا ، وتوتّرت عضلات وجهه ، وشعر بالغيظ يملأ نفسه عندما صكت مسامعه

عبارة ساخرة ، نطقها صوت أنثوى ، يقول :

ـ يا للمفاجأة !! النقيب (نور) هنا ؟. كنت واثقة أن موضوع الهزّات الأرضية يحوى على أكثر مما تصرّح به الحكومة .. ووجود النقيب (نور) هنا يؤكد اعتقادى ، أعتقد أننى سأحصل على خبطة الموسم الصحفيّة .

خيّم الصمت على الجميع ، وبانت الدهشة على وجوههم وهم يتطلعون إلى (نور) الذى استدار بغيظ ليلقى نظرة على المتحدّثة ، التى لم تكن سوى الصحفيّة الشابة (مشيرة محفوظ) .

* * *

٨ ـ بَرْنَامَج الدمار ..

ابتسم النقيب (نور) ابتسامة باهتة ، وحاول أن يبدو هادئ الأعصاب ، غير مبال .. وقال وهو يضغط على أسنانه :

ـ مرحبًا يا (مشيرة) .. لم نتقابل منذ مؤتمر (العلم والسلام) .

ظهرت ابتسامة خبيثة على شفتى (مشيرة) وهى تقول :

ـ نعم ، إننى أذكر جيدًا لقاءنا السابق فى المؤتمر .. وهذا ما يدفعنى إلى التساؤل هذه المرة .

تدخّل المهندس (على) قائلًا :

ـ ما العجيب فى ذلك يا آنستى ؟. هل من الخطأ أن يزورنى ابن أختى فى المركز ؟

التفتت إليه (مشيرة) بدهشة ، ثم تحوّلت ملامحها إلى السخرية وعدم التصديق ، وبعد فترة من الصمت قالت :

ـــ لا بد أننى أخطأت التصوّر .. صحيح .. ما العجيب فى أن يزورك ضابط طيران سابق ؟

حدق (نور) فى وجهها بدهشة ، وكذلك المهندس (على) ، ولكنها تجاهلت نظرتهما ، وصاحت فى زملائها :

ـــ هيا أيها الرجال .. أريد أن نبدأ التصوير بعد خمس دقائق على الأكثر .

عاد الرجال إلى أعمالهم ، وهم يختلسون النظر إلى الرجلين والفتاة .. مالت (مشيرة) على أذن النقيب (نور) وهمست :

ـــ ها قد أنقذتك من الورطة التى أوقعتك فيها أيها النقيب .. ولكننى ما زلت مصرّة على أن وراء قدومك قضية غامضة .. سأحتفظ بالسّر ، ولكننى سأدينك بخبر مثير .

ابتسم (نور) ، وهمس فى أذنها بدوره :

ـــ اتفقنا .. أعدك بالحصول على خبر الموسم .

فرقعت (مشيرة) أصابعها وهى تبتسم بخبث ، ثم التفتت إلى أحد الرجال المعاونين ، وقالت :

ـــ هيا .. فلنبدأ العمل .

بعد حوالى ساعة ، كان (نور) يجلس مع رفاقه فى غرفة منفصلة ، حيث زفرت (سلوى) بضيق وقالت :

ـــ إذن فقد سببت لك هذه المتحذلقة مشكلة .

ثم قطّبت حاجبيها بغيظ عندما انفجر (محمود) و (رمزى) ضاحكين ، وابتسم (نور) محاولا كتم ضحكته ، ثم قال :

ـــ فى الواقع يا عزيزتى إنها أسرعت بإصلاح خطئها .

ثم أسرع يلتفت إلى (محمود) ، محاولاً إيقاف هذا الحديث الذى يتسم بالغيرة .. وقال وهو يعتدل فى مقعده :

ـــ أتعشم يا عزيزى (محمود) ، أن تكون قد نجحت فى إحضار جهاز الأشعة الارتجاجية بأكبر قدر من السرّية .

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لم يعلم بإحضاره سوى المهندس (أشرف صبحي) ، مدير مشروع السدّ الجديد .. والدكتور (عبد الله) ، مدير مركز الأبحاث العلمية التابع للإدارة بالطبع ..

قال (نور) باهتمام :

ـ كم تحتاج لإعداد هذا الجهاز للعمل ؟

أطرق (محمود) قليلاً ، ثم قال :

ـ حوالى خمس ساعات .. لقد أحضرت الجهاز مفككًا حتى أستطيع إحاطته بالسرية وهو يحتاج إلى هذا الوقت تقريبًا لتركيبه .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ عليك إذن أن تبدأ العمل فى الحال ، فربما نحتاج إليه قريبًا جدًا .

التفت إليه الجميع ، وسأله (رمزى) :

ـ هل توصّلت إلى شىء ما أيها القائد ؟

عاد (نور) يهزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بالضبط ، ولكننى واثق من التصرّف الحتمى للمجرم ، لو أنه وقع فى أيدينا .

قالت (سلوى) فجأة ، وكأنها تنبّهت إلى نقطة ما :

ـ آه .. نسيت أن أخبرك أيها القائد .. عند قدومى إلى هنا قابلت المهندس (فهمى) ، وأخبرنى أنه شاهد المهندس (حسين) ، يعمل على جهاز الارتجاج العكسى .. برغم أن هذا لم يكن واردًا فى البرنامج .

التفت إليها (نور) باهتمام ، وسألها وهو مقطّب الحاجبين :

ـ ربّاه !! ومتى كان ذلك ؟

أجابته (سلوى) بارتباك :

ـ منذ حوالى نصف الساعة .. أنا آسفة أيها القائد .. لقد ألهانى الحديث عن هذه الصحفيّة اللعينة .. أنا آسفة .

صاح فيها (نور) بغضب :


أمسك (نور) بكفيها ، وتعلق بالجهاز ، ثم جذبها إليه .

ــ هل رأيت إلى أين قادتك تلك الغيرة السخيفة ؟... ماذا لو أنه ... ؟

قطع حواره الغاضب ارتجاج بسيط ، أخذ يرتفع تدريجيًا .. اختطف (نور) مسدس الليزر الذى بجواره ، ثم اندفع خارجًا إلى حيث غرفة الارتجاج العكسى ، ووراءه (سلوى) ، و (محمود) ، و (رمزى) ..

وصل (نور) أولا ، فوجد الغرفة مفتوحة وخالية ، على حين تزايدت شدة الزلزال إلى درجة خطيرة .

وقف (نور) عاجزا ، وسرعان ما اندفعت (سلوى) إلى الغرفة ، وأخذت تتوجه إلى الجهاز مقاومة الارتجاج القوى ، الذى أخذ يدفعها إلى الجدران واحدا تلو الآخر .. أمسك (نور) بكفيها ، وتعلق بالجهاز ، ثم جذبها إليه وهو يصيح :

ــ أسرعى يا (سلوى) .. الارتجاج يتزايد بشدة .. أسرعى .. لا بد أن هذا المجرم المجنون قد قرر التدمير هذه المرة .

تعلّقت (سلوى) بذراع (نور) ، وأسرعت أناملها تضغط الأزرار الزرقاء واحدًا بعد الآخر .. أخذت حدّة الزلزال تخفت مع كل ضغطة زر ، أصبحت هادئة مع آخر الأزرار ..

سقطت (سلوى) على المقعد الذى أمام الجهاز ، وتنهّدت بعمق وهى تحمد الله على النجاة ، على حين استند كل من (محمود) و (رمزى) إلى الحائط .. وأغلق (نور) عينيه وكظم غيظه .. وفى نفس اللحظة اندفع إلى الغرفة المهندس (سمير) والمهندس (على) والمهندس (حسين) .. وقفوا جميعًا بدهشة يحدّقون فى أفراد الفريق ، فتجاهلهم (نور) تمامًا ، والتفت إلى (سلوى) وقال :

ــ أريدك أن تفحصى برامج الجهاز يا عزيزتى .. أريد التأكد من وجود برنامج موضوع هذا الزلزال الصناعى .

حاول المهندسون الاعتراض ، ولكن (نور)

أوقفهم بإشارة من يده .. وبعد حوالى ربع ساعة رفعت (سلوى) رأسها ، وقالت :

ــ ليس هناك من شك .. هذا الجهاز مزوّد ببرنامج ارتجاجى شديد .

خيّم الصمت على الغرفة بعد عبارة (سلوى) ، إلى أن قطعه (نور) بسؤال حاسم :

ــ ماذا كنت تفعل هنا يا سيّد (حسين) ؟

التفت إليه (حسين) بدهشة ، وقال بارتباك :

ــ كنت أفحص محول الطاقة الأيونية ، كما أمرنى المهندس (على) .

صاح المهندس (على) بدهشة شديدة :

ــ أنا ؟.. إننى لم أتحدّث إليك منذ صباح أمس .

حدّق المهندس (حسين) فى وجه المهندس (على) بذهول ، ثم قال :

ــ ولكننى لست مجنونًا .. لقد حدّثتنى من خلال جهاز الاتصال الداخلى ، وطلبت منى القيام بالفحص .. حاول أن تتذكّر .

هزَّ المهندس (على) رأسه نفيًا بشدة ، وصاح :

ـ مستحيــل .. ولماذا أطلــب منك القيــام بالفحص ؟. هل أنت متأكد أنه كان صوتى أنا ؟

ظهرت الحيرة على وجه (حسين) ، وتردد وهو يقول :

ـ أعتقد ذلك .. ربما .. ربما ..

قال (نور) بحزم :

ـ ربما ماذا أيها المهندس ؟

قال (حسين) بارتباك :

ـ لقد لاحظت أن الصوت كان متغيرًا قليلًا ، ولكننى لم ألتفت إلى ذلك .

ابتسم (نور) وقال :

ـ هل هذا هو البرنامج الجديد أيها المهندس ؟

التفت إليه (حسين) بارتباك وقال :

ـ أؤكد لك أنه قد ....

قاطعه (نور) بحزم قائلًا :

ـ لقد فحصت البرامج الموضوعة فى الجهاز مع المهندس (على) منذ حوالى ساعة أو أكثر قليلًا .. وكان البرنامج حينذاك خاليًا .. فمن أضاف إليه برنامج الزلزال يا ترى ؟

صاح المهندس (على) بغتة :

ـ المهندس (سمير) .. لقد رأيناه سويًا يدخل الغرفة .

التفتت العيون جميعًا إلى المهندس (سمير) الذى امتقع وجهه ، وقال وهو يشيح بذراعيه :

ـ ما هذا الجنون ؟.. هل أضع برنامجًا يعرِّضنى للتدمير ؟

قال (نور) بهدوء :

ـ ولم لا ؟ .. لا أحد يمكنه استنتاج أغراض عالم مثلك .. ثم إنك أكثر الموجودين إجادة لفن التعامل مع جهاز الارتجاج العكسى .

وقبل أن ينطق المهندس (سمير) بكلمة واحدة ، صاح (رمزى) متسائلًا :

ــ لحظة .. أين المهندس (فهمى) ؟.. ألم يشعر بحدوث الزلزال ؟ أم أنه ...

قال (نور) مقاطعًا باهتمام :

ــ أم أنه هرب ... فرّ قبل أن يدمّره الانفجار المنتظر .. صحيح !!. أين المهندس (فهمى) ؟

* * *



٩ ــ ومضة عقل ..

جلس النقيب (نور) على مقعد وثير ، فى غرفة المهندس (أشرف صبحى) مدير مشروع السد الجديد ، وقال وهو يستند بذقنه إلى راحته :

ــ نعم يا سيّدى .. لقد تم القبض على المهندس (فهمى) فى القاهرة ، ولكنه مصرٌّ على أن سفره إلى هناك كان بناء على اتصال عاجل من المهندس (سمير) ، ليطلب منه السفر فورًا إلى القاهرة ، لإحضار جهاز أشعة ارتجاجية .

استند المهندس (أشرف) إلى مقعده ، وقال :

ــ وهل تصدّق هذه القصة أيها النقيب ؟

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ــ لست أدرى .. من العجيب أنهم أمسكوا به فى مركز الأبحاث .. كان يطلب فعلًا جهاز أشعة ارتجاجية .

قال المهندس (أشرف) :

ـ خطة بارعة بالطبع .. فلو نجحتم فى إيقاف الجهاز ، يكون لديه دليل كافٍ .

أطرق (نور) وقال :

ـ ما زالت هناك أكثر من نقطة لا يمكن تفسيرها يا سيّدى .

قطّب (أشرف) حاجبيه ، وقال :

ـ مثل ماذا أيها النقيب ؟

عاد (نور) يهز رأسه ، ويقول :

ـ الكثير يا سيّدى .. عمومًا لقد طلبت منهم الإفراج عنه .. وأعتقد أنه سيصل بين لحظة وأخرى .

قال (أشرف) بدهشة :

ـ هذه مخاطرة أيها النقيب .

قال (نور) وهو ينهض واقفًا :

ـ حياتى كلها مخاطرة يا سيّدى .. ولن يضيرنى أن أضيف إليها مخاطرة جديدة .

* * *

بعد أقل من نصف ساعة ، كان المهندس (فهمى) يجلس غاضبًا فى مكتب المهندس (على) .. وكان المهندس (سمير) يقول بارتباك :

ـ ولكننى لم أتصل بك مطلقًا يا (فهمى) .

صاح (فهمى) بغضب :

ـ لا تحاول الكذب أيها الرجل ..

قاطعهما (نور) قائلًا :

ـ هل كان صوت المهندس (سمير) واضحًا يا سيّد (فهمى) ؟

صاح المهندس (فهمى) بغضب :

ـ واضحًا للغاية .. هل تعتقد أننى طفل صغير ، لا أستطيع تمييز الأصوات أيها النقيب ؟

كانت لهجة (نور) جافة باردة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا وقت المكابرة يا سيّد (فهمى) ، أريد إجابة واضحة .. أكان الصوت واضحًا أم لا ؟

تراجع غضب (فهمى) أمام نظرات (نور) ، فقال بتردد :

ـ لا أستطيع الجزم بذلك أيها النقيب .. ولكننى أعتقد أنه كان صوته .. ثم إنه أخبرنى أنه المهندس (سمير) .

عاد (نور) يسأله ببرود :

ـ هل تجيد العمل على جهاز الارتجاج العكسى ، يا سيد (فهمى) ؟

قال (فهمى) :

ـ بالطبع .. هل نسيت أننى مهندس مثل الجميع ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ لا .. لم أنس يا سيد (فهمى) .

* * *

بعد قليل كان (نور) يدلف إلى الغرفة المنفصلة التى تضم رفاقه .. حيّاه الجميع ، ثم جلس بجوارهم ، وسأل (محمود) باهتمام :

ـ هل انتهيت يا عزيزى من إعداد جهاز الأشعة الارتجاجية ؟

أجابه (محمود) :

ـ نعم ، منذ خمس دقائق فقط ، وهو الآن جاهز للعمل فى أية لحظة تحددها .

قال (رمزى) مداعبًا :

ـ لقد فرض علينا حظر التجوُّل طوال فترة إعداده للجهاز .. كلٌّ منّا يناوله قطعة ، أو مسمارًا من الكريستال ، أو ....

قاطعته (سلوى) ضاحكة :

ـ ثم بدأ يسرح بأفكاره ، ونحن نفيقه طول الوقت .

ابتسم (محمود) ، وقال :

ـ وبرغم هذا انتهيت من الجهاز فى الوقت المحدد ، وبنفس الدقة التى أمتاز بها .

ضحك (رمزى) وقال :

ـ هذا لأنك معتاد على مثل هذا العمل يا صديقى ، وعندما يصل الإنسان إلى مثل هذه المرحلة ، يتحول إلى آلة مبرمجة لمزاولة العمل بدقة حتى

لو كان نائمًا .. ولهذا كان من الطبيعى مثلاً أن يحقن الطبيب مريضه فى المكان السليم ، وبالجرعة المناسبة ، حتى لو تشتت ذهنه .. كما أن العامل أمام الآلة لا يحتاج إلى كل صفاء ذهنه دائمًا ؛ فهو يقوم بالخطوة الصحيحة مائة فى المائة وهو سارح بفكره بعيدًا .. ربما لأنه يزاول العمل نفسه يوميًا ، حتى يتحوّل إلى آلة بشرية .

ضحك (محمود) وقال :

ــ إذن فقد حوّلتنى إلى آلة يا عزيزى الطبيب النفسى .

ضحك الجميـــع ، وفجـــأة توقّـــف (نور) عن الضحك ، وبرقت عيناه ببريق غامض .. فقد ومضت فى عقله ومضة قوية أضاءت له الطريق .. ولاحظ الجميع أن ابتسامة راحة قد علت شفتيه ، وهو يغمض عينيه ، ويسترخى فى مقعده الوثير ، تبادل الجميع النظرات ، ثم علت وجوههم البهجة فى وقت واحد ، فلقد ومضت فى عقل كل منهم ومضة .. ومضة عقل .

* * *

١٠ ــ الاجتماع الأخير ..

قطّب المهندس (على) حاجبيه ، وأخذ يتأمل (نور) بدقة ، محاولاً أن يستشف شيئًا من ملامحه الجامدة .. ولمّا عجز عن أن يصل إلى شىء ما أطرق برأسه ، وقال :

ــ إذن فأنت تريد عقد اجتماع هنا فى مكتبى أيها النقيب .

قال (نور) بنفس الملامح الجامدة :

ــ نعم يا سيّدى ، كما سبق أن أخبرتك .. لدىّ جديد أريد أن أطلع الجميع عليه .

استند المهندس (على) بجبهته إلى كفّه ، وصمت فترة ، ثم قال :

ــ حسنًا أيها النقيب .. لن أسألك عن السبب ما دمت تريد إخفاءه .. فليكن ذلك الاجتماع فى السادسة مساءً ، فلدى بعض الأعمال التى ....

ــ ولكننى أرسلت فى طلب الجميع يا سيّدى ، وسيكونون هنا فى تمام الثانية .

ثم نظر فى ساعته ، وقال :

ــ أى بعد تسع دقائق من الآن يا سيّدى .

ظهر الغضب على وجه (على) وصاح :

ــ هل تتخذ القــرارات هنــا دون علمــى أيها النقيب ؟ .. هل نسيت أننى المدير هنا ؟

قال (نور) بهدوء :

ــ لا .. لم أنس يا سيّدى .. ولكنها دواعى الأمن ، التى تتطلّب هذا .

احتقن وجه المهندس (على) ، وقبل أن ينطق سمع الاثنان طرقًا على باب المكتب ، وقبل أن يتحرّك أحدهما انفتح الباب ، ودخلت (مشيرة) الصحفيّة الشابة .. وما أن شاهدت ملامحهما حتى قالت بسخرية :

ــ يبدو أننى قد وصلت فى اللحظة المناسبة .. واضح من احتقان وجهك ياسيادة المدير أن الموقف متوتّر .



قطّب المهندس (على) حاجبيه ، وأخذ يتأمل (نور) بدقّة ..

قال المهندس (على) بغضب :

— من سمح لك بالدخول أيتها الشابة ؟

أشار إليه (نور) بيده ، وقال :

— لقد شاء القدر يا سيدى أن تحضر (مشيرة) اجتماعنا .

ثم أمسك بكتف (مشيرة) ، ونظر فى عينيها مباشرة وقال :

— عزيزتى .. هذا الاجتماع يدخل تحت بند (سرى للغاية) .. هل تعدينى بكتمان سرّ كل كلمة تدور فيه ؟ أنا واثق من وطنيتك .

احمر وجه (مشيرة) خجلاً ، وقالت بتلعثم :

— آ .. آآ .. أعدك بكتمان السر أيها النقيب .

ابتسم (نور) بهدوء وقال :

— كنت واثقًا من ذلك يا عزيزتى .. أعدك أنا أيضًا بخبر الموسم .

نظرت (مشيرة) إلى وجهه ، وتخضب وجهها

بالحمرة ، ولكن دقات متتالية على باب الغرفة أعفتها من الحرج .. بدأ الجميع فى التوافد .. وصل أولاً المهندس (سمير) والمهندس (حسين) سويًا .. ثم وصل أعضاء الفريق بصحبة المهندس (أشرف صبحى) .. وتبادلت (سلوى) مع (مشيرة) تحية جافة ، وقد قطّبت كل منهما حاجبيها .. وأخيرًا وصل المهندس (فهمى) .. وما أن التأم شمل الجميع ، حتى قال (نور) :

— اجتماعنا اليوم هام للغاية أيها السادة .. فقبل أن ينتهى سيكون المجرم المسئول عن هذه الهزات الأرضية الصناعية ، قد أصبح معروفًا للجميع .

خيّم الصمت على جو الغرفة ، على حين ملأت الدهشة الوجوه ، وتطلّع الجميع إلى (نور) ، وفجأة قالت (سلوى) :

— سأكشف أنا السرّ هذه المرة أيها القائد .. لقد توصّلت إليه أنا أيضًا .

تطلّع الجميع إليها ، فألقت بنظرة غرور إلى

(مشيرة) ، ثم تابعت بابتسامة ثقة :

ـ لقد تعلّمت الكثير من مصاحبتى لك يا ... (نور) .

أشار إليها (نور) بابتسامة أن تتكلم ، فقامت واقفة ودارت بعينيها على الجميع . ثم ابتسمت بثقة وقالت :

ـ حل هذا اللغز واضح جدًا أيها السادة .. إن المجرم الحقيقى مهندس يريد الحصول على منصب مدير مركز التنبؤ بالزلازل .. ولذلك فقد اتصل بالمهندس (حسين) ، وقلّد صوت المهندس (على) ، وطلب منه التوجُّه إلى غرفة الارتجاج العكسى ، ثم اتصل بالمهندس (فهمى) وطلب منه السفر فورًا إلى القاهرة .. وهكذا يمكن اتهام المهندس (حسين) ببرمجة الجهاز ، أو اتهام المهندس (فهمى) بالهرب خوفًا من إلقاء القبض عليه .. إننى أتهم المهندس (سمير) .

صاح المهندس (سمير) بغضب :

ـ ما معنى هذا العبث الصبيانى ؟

قاطعه (رمزى) قائلًا :

ـ لحظة يا سيِّد (سمير) لقد أخطأت (سلوى) فى استنتاجها .. لقد أهملت عدة نقاط أساسية ، وأنا أخالفها فى هذا الاستنتاج ، وأعتقد أن لدىّ الحل الصحيح .

جلس المهندس (سمير) غاضبًا ، فى حين توجَّهت الأنظار كلها إلى (رمزى) ، الذى تابع قائلًا :

ـ لقد أهملت (سلوى) عامل الإفادة .. فما الذى يفيده المهندس (سمير) من اتهام المهندس (فهمى) والمهندس (حسين) .. ما دام الانفجار الذى سيحدثه السدّ الجديد سيقضى عليه أولًا ؟. كان من المفروض أن نفكِّر فى الشخص الوحيد الذى لن يصاب بضرر إذا نجح برنامج الزلزال الصناعى .. وهو ببساطة المهندس (فهمى) .

هبَّ المهندس (فهمى) واقفًا ، وقد احتقن وجهه ، وهو يقول :

— كيف تجرؤ على اتهامى أيها الشاب ؟

ابتسم (رمزى) بهدوء وقال :

— لدىّ مبررات مقنعة يا سيّدى .. فأنت أصغر الموجودين سنًا ، ولا أمل لديك فى الحصول على المنصب إلا بإزاحة هؤلاء الأفراد من طريقك .. لقد اتصلت بالمهندس (حسين) مدّعيا أنك المدير ، وهذا يرضى تطلّعات عقلك الباطن .. وطلبت منه أن يفحص أجهزة الطاقة بغرفة الارتجاج العكسى ، ثم سافرت إلى القاهرة .. وكانت خطتك ذات شقين : فلو انفجر السدّ ستكون بعيدا ووحيدا وسط البقية الباقية بعد هذه الكارثة الشنعاء .. يا له من مركز !! أما لو فشلت الخطة أو تم إحباطها ، فسيحيط الاتهام بالمهندس (حسين) ، وتعزز أنت الموقف بادعائك أنه ذهب إلى غرفة الارتجاج العكسى ، برغم أن ذلك يخالف الجدول .. ثم تتخلص من المهندس (سمير) ، بادعائك أنه هو الذى طلب منك السفر إلى القاهرة .. خطة ذكية أيها الرجل .

ابتسم (نور) ولم يعلق على هذا التفسير ، عندما صاح (محمود) :

— هذا خطأ يا عزيزى (رمزى) . لقد أخطأت أنت أيضًا فى استنتاجك .. لماذا تصوّرت أنت و (سلوى) ، أن المهندس (حسين) كان صادقا فى ادعائه أنه تلقّى اتصالا ، يطلب منه الذهاب لفحص أجهزة الطاقة بالغرفة ؟

بانت الحيرة على وجوه الجميع من هذه الاتهامات المتوالية ، على حين لم يزد (نور) على أن يبتسم واسترخى فى مقعده .. وأخذت (سلوى) تتطلّع إلى (مشيرة) ، التى تجلس بجوار (نور) بحيرة .. أما المهندس (حسين) فقد احتقن وجهه ، وقال بصوت متحشرج :

— ولكننى بالفعل صادق .

قال (محمود) بحزم :

— هذا ما تقوله أنت يا سيّد (حسين) ، ولكننى

أقول إنك تعمدت فى البداية إلقاء الشبهة على المهندس (على) ، ثم عدت تدعى أنه هو الذى طلب منك التوجه لفحص جهاز الطاقة .. كنت تحاول بذر الشك حول نزاهته .. ثم قلدت صوت المهندس (سمير) ، وطلبت من المهندس (فهمى) السفر فورًا .. وأستطيع أن أؤكد أن البرنامج الذى وضعته فى جهاز الارتجاج العكسى ، لم يكن ليؤدى إلى انفجار السد الجديد ، وأنت تعلم هذا .. أو تعلم أننا سنصل إلى الجهاز ، ونوقف عمله .. وهنا تحوم الشبهات حول منافسيك الثلاثة فى منصب المدير .. ولا يبقى سواك ، وهكذا تحصل بالتأكيد على المنصب الذى طالما حلمت به وتمنيته ، وتتخلص من المهندس (على) ، الذى يحتل المنصب منذ خمس سنوات ، وكذلك المهندس (سمير) المرشح الأول للمنصب هذا العام ، بسبب حصوله على جائزة (حورس) .. وأزحت بالمرة الرجل الذى شاهدك تدخل غرفة الارتجاج العكسى ، وهو المهندس

(فهمى) .. أعتقد أن استنتاجى هذا صحيح أيها المهندس (حسين) ، وهذا يبدو واضحًا من احتقان وجهك .

قال المهندس (حسين) بنفس الصوت المتحشرج :

ـ احتقان وجهى راجع إلى الظلم الذى أشعر به أيها الشاب .. فأنا لم ألاحظ أن المهندس (فهمى) قد شاهدنى داخل الغرفة .. وحتى لو لاحظت ذلك ما شغلنى الأمر ؛ فأنا لست مذنبًا كما تتصور .

قال المهندس (فهمى) بصوت يملؤه الضيق :

ـ هذا صحيح .. لقد كان يعطينى ظهره عندما رأيته .. كما أننى تلقيت الاتصال الذى يطلب منى السفر قبل ذلك بحوالى نصف ساعة ، ولكننى كنت أعد نفسى للسفر ، وأنهى بعض الأعمال المطلوبة ، ولقد استغرق هذا زهاء نصف ساعة .

ظهرت الحيرة على وجه أعضاء الفريق ، فالتفتوا إلى



قطَّب المهندس (على) حاجبيه ، وقال موجِّها حديثه إلى (نور)

(نور) الذى جلس هادئا ، وقد علت ثغره ابتسامة ..
وصاح المهندس (على) بغضب :

ـ لقد ألقيتم بالاتهام على الجميع أيها الشبان .. ولم يوصلنا هذا الاجتماع إلى شيء .

قالت (سلوى) وهى تنظر إلى (نور) بحيرة :

ـ أينا أقرب إلى الحل الصحيح أيها القائد ؟

اتسعت ابتسامة (نور) وهو يقول :

ـ لقد وعدت بكشف الحل قبل نهاية هذا الاجتماع يا عزيزتى ، وأنا عند وعدى .. أما بالنسبة للحلول التى توصلتم إليها ففيها بعض الحقائق الصحيحة ، ولكن أيًا منكم لم يصل إلى الحل المنطقى الصحيح لهذا اللغز .

قطَّب المهندس (على) حاجبيه ، وقال موجِّها حديثه إلى (نور) :

ـ هل تعنى أنك تعلم الحل الصحيح أيها النقيب ؟

قال (نور) بثقة :

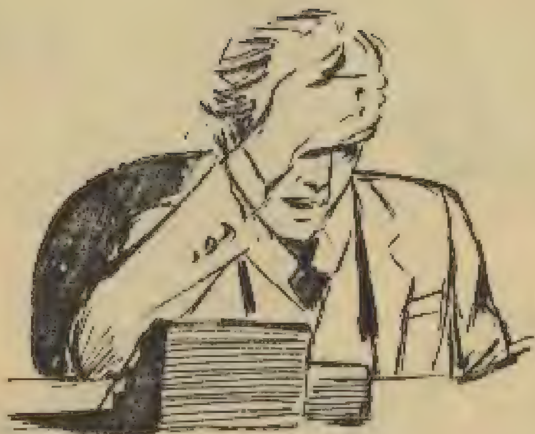
ـ بالطبع أيها المدير ، وعندى الأدلة .. وسأخبركم بكل شيء فى الحال .

* * *

١١ ـــ من الجانى ؟.

تنبهت حواسّ الحاضرين ، وتركزت أبصارهم على (نور) ، الذى اعتدل فى مقعده ، واكتست ملامحه بالجدية ، وهو يضمّ كفَّيه ويقول :

ــ كان زميلى (محمود) موفقًا فى استنتاجه ، أن المجرم لم يكن ينوى مطلقًا الوصول بالزلزال إلى درجة الارتجاج الكافية لإحداث الانفجار ، أو تحطيم السدّ الجديد .. فليس هذا ما يهدف إليه ، وإنما يهدف فعلاً إلى ما اتفق عليه الجميع .. ألا وهو الحصول على منصب مدير مركز التنبؤ .. ومن العجيب أن يصل مهندس محترم مثله إلى هذه الدرجة من التعلّق بالمناصب إلى حدّ ارتكاب الجرائم من أجلها .. أعود فأقول إن المجرم لم يهدف إلى تفجير السدّ الجديد أو تحطيمه .. والدليل على هذا أنه فى كل مرة كان الزلزال يبدأ تدريجيًا ، وتزداد شدته ببطء مما يسمح بالإسراع إلى



إيقاف الجهاز .. ولو أنه ينوى فعلًا تحطيم السد ، لفعل ذلك فى المرة الأولى .. ولكنه مجرم ذكى ، يجيد كمعظم المهندسين وضع الاحتمالات المنطقية ، وترتيبها واستنتاجها ؛ ولذلك كان من السهل عليه توقّع كل الخطوات التى ستقدم عليها الحكومة لبحث الأمر .. ولو تذكّرنا أنه فى المرة الوحيدة التى وصلت فيها شدة الزلزال إلى درجة خطيرة ، ترك المجرم باب غرفة الارتجاج العكسى ، ليوفر علينا وقت اقتحامها .. هذا ليضمن طبعًا تمكّننا من إيقاف الجهاز قبل وصول الارتجاج إلى درجة خطيرة ..

قال المهندس (أشرف صبحى) بهدوء :

ـ ولماذا رفع شدة الارتجاج فى المرة الأخيرة بالذات ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ لأنه يريدنا أن نحصل على البرنامج الأخير ، ونتأكد من أنه موضوع لتدمير السد .. ولهذا كان

يجب أن يخاطر بوضع برنامج شديد .. ولهذا أيضًا ترك باب الغرفة مفتوحًا ليقلّل من حجم المخاطرة .. فلو أننا لم نسرع بإيقاف الجهاز ، لفعل هو وأصبح بطلًا .

سأله المهندس (على) باهتمام :

ـ ومن هو هذا المجرم أيها النقيب ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ صبرًا يا سيّدى المدير .. سنتتبع الأحداث بالمنطق .. سبق أن قلت أيضًا إننى أوافق على أن السبب الرئيسى لكل هذه الأحداث ، هو الصراع على منصب مدير المركز .. ولقد أخطأ زملائى جميعًا فى افتراضاتهم .. فلقد افترضوا أن المهندس (فهمى) يكذب ، ثم افترضوا أن المهندس (سمير) مخادع ، وأن المهندس (حسين) يلفق الأحداث .. وأنا أقول إنهم جميعًا صادقون .

نظر إليه الجميع بدهشة ، على حين هتف المهندس (على) بغضب :

— هل تعى معنى قولك هذا أيها النقيب ؟

استند (نور) إلى مقعده بهدوء ، وقال فى نبرات جافة ، ولهجة باردة :

— أعيه تمامًا يا سيادة المدير ، وأعلم جيدًا أن هذا القول يعنى أنك أنت المجرم .. أيها المهندس (على) .

ابتسم المهندس (على) ساخرًا ، وقال وهو يعبث بأدراج مكتبه :

— هل فرغت من اتهام الجميع ، ولم يعد سواى أيها النقيب ؟

كانت الدهشة قد استولت على الجميع ، وهم ينقلون أبصارهم بين (نور) والمهندس (على) ، عدا (سلوى) التى تركزت عيناها فوق (نور) ، الذى قال بهدوء :

— إننى لم أتهم أحدًا حتى الآن يا سيادة المدير ، وإنما سرد زملائى استنتاجاتهم .. ولقد توصّلت إلى هذا الحل عندما أخذ (رمزى) يشرح نظرية التلقائية .. كان يقول :

— إن الإنسان عندما يعمل مدة طويلة فى عمل واحد فإنه يتخذ الخطوة الصحيحة دائمًا حتى لو لم يكن متمالكًا لوعيه أو أعصابه .. ولقد وجدت أن هذه النظرية سليمة تمامًا ، ولكنها لا تنطبق على التصرّف الذى قمت به فى المرة الأولى التى هاجمنا فيها الزلزال ، ونحن هنا فى المركز .. لقد أسرعنا سويًا إلى غرفة الارتجاج العكسى ، ولكنك عندما جلست أمام الجهاز ضغطت زرًا مخالفًا ، وصاحت (سلوى) تنبّهك إلى ذلك ، ثم أسرعت هى تضغط الأزرار المناسبة .. كان هذا هو هدفك ، أن تعلم إذا كان أحدنا يجيد استخدام الجهاز أم لا .. وعندما تأكدت من أن (سلوى) تجيد استخدامه ، قمت بإعداد لعبتك الأخيرة .

هزّ المهندس (على) رأسه ، وقال بسخرية :

— وهل أنا الذى طلبت من (حسين) التوجه لفحص جهاز الطاقة أيضًا ؟

ابتسم (نور) وقال :

— نعم ، عندما ادّعيت أنك تريد الاتصال بمكتبك ، لتعرف ما إذا كانت جريدة أنباء الفيديو قد حضرت أم لا .. كنا وقتها قد انتهينا من فحص جهاز الارتجاج العكسى .. ولقد قمت أنت بإجراء ثلاثة اتصالات : واحد منها بمكتبك ، والآخر لـ (حسين) تطلب منه الحضور لفحص جهاز الطاقة .. ولقد كنت ذكيًا بمحاولتك تغيير صوتك وقتئذ ، ثم اتصلت بالمهندس (فهمى) مدّعيًا أنك (سمير) ، وطلبت منه السفر فورًا إلى القاهرة .. لم تكن تتوقّع أن يحضر (سمير) لإجراء تجاربه على الجهاز ، ولهذا فاجأك وجوده .. تذكُر ذلك بالطبع ..

ضحك المهندس (على) وقال :

— لقد وقعت بلسانك أيها النقيب .. تقول إننى فحصت فى وجودك جهاز الارتجاج العكسى ، وتأكدت من عدم وجود برامج زلازل صناعية بداخله ، ثم خرجت معك إلى مكتبى ، ولم أغادره إلا عندما حدثت الهزّة

الأرضية الأخيرة ، وعندى شهود على ذلك .. كيف ومتى أضفت برنامج الزلزال الأخير إذن ؟

هزّ (نور) كتفيه وقال :

— إنك لم تضعه بعد ذلك أيها المهندس .. لقد كان البرنامج موجودًا بالفعل ، ولكنك أنت الذى فحصت الجهاز .. وكان من الطبيعى أن تنفى وجود برامج بداخله ، مستغلًّا عدم دراستى لهذا العلم .. ولقد كنت متأكدًا أن (سلوى) ستجد البرنامج بعد ذلك ، وأن هذا سيؤكد براءتك .

أطرق المهندس (على) لحظة ، وكأنه يبحث عن شىء ما ، ثم رفع رأسه وقال :

— ولماذا أفعل ذلك ، ما دمت تقول إن السبب الرئيسى لكل هذه الأحداث هو الصراع على منصب مدير المركز ، ما دمت أنا فعلًا فى هذا المنصب ؟

اعتدل (نور) وقال :

— لأن المهندس (سمير) أصبح أحق منك بهذا

المنصب ، بعد حصوله على جائزة (جورس) العلمية ، وترشيحه للحصول على جائزة (نوبل) ؛ ولأنك أصبت بجنون السلطة ، ولا تستطيع التخلى عن هذا المقعد ، الذى ظللت عليه خمس سنوات كاملة .

ثم مطّ شفتيه وقال :

ــ لقد استنتجت أنك قد أصبت بهذا النوع من الجنون ، بسبب محاولتك التخلص من الجميع ، برغم أن المنافس الوحيد لك هو المهندس (سمير) ، الذى حاولت اتهامه فى أول الأمر ، بأن بدأت الهزات الأرضية وهو فى إجازة ، لتؤكد ابتعاده عن موقع الانفجار .. وكنت تعلم أن هذا يجعله أكثر الموجودين عرضة للشبهات .. لقد خشيت من جنون السلطة الذى أصابك ، حتى أننى قررت مفاجأتك بموعد الاجتماع ، خشية أن تعد برنامج تدمير شامل ، لو أنك علمت قبل ذلك بوقت كاف أننا نمتلك أدلة .. وهذا ما كنت ستفعله فعلاً عندما أردت تأجيل الاجتماع بحجة الأعمال العاجلة ..

ساد الصمت لحظات قبل أن يستطرد (نور) قائلاً :

ــ آسف يا سيادة المهندس ، ولكنك فى موقعك هذا ، وبحالة الجنون هذه ، تصبح خطرا على الأمن العام ، وأنا مضطر لاعتقالك .

ردّ المهندس (على) بهدوء عجيب :

ــ لن يحدث هذا أبدا أيها النقيب .. لن أقف يوما خلف قفص الاتهام .. إننى المدير هنا .

ثم صاح فجأة بغضب :

ــ هل تفهم ؟! إننى المدير .. مدير هذا المركز بأكمله .

انفجر ضاحكا بجنون ، فقفز (نور) إليه ، ولكنه تسمّر فى مكانه ، وكذلك الجميع عندما رفع المهندس (على) مسدس ليزر ، وصوّبه إلى (نور) ، وهو يقهقه ضاحكا بجنون ، ويقول :

ــ لن تقبض علىّ أيها النقيب الأبله .. هل تظن

أنك أكثر ذكاءً منى ؟. منى أنا ؟. أنت مجرد نقيب تافه فى المخابرات العلمية .. هل تعلم من أنا .. إننى المدير .

تراجع الجميع أمام السلاح الذى يحمله المهندس (على) ، الذى أخذ يتحرك نحو باب الغرفة وهو يبتسم ابتسامة عجيبة ، ثم فتح الباب وقهقه ضاحكًا ، وقفز خارجا ثم أغلقه .. أسرع (نور) يتناول مسدس الليزر الذى فى سترته ، وصاح بـ (محمود) :

ـ أسرع يا (محمود) إلى جهاز الأشعة الارتجاجية .

صاح (محمود) :

ـ هل تعتقد أنه سيحاول ... ؟

أشار (نور) للجميع بالابتعاد وهو يقول :

ـ نعم ، هذا ما سيفعله بالضرورة .. انتحار جماعي .. سيفضّل الموت على أن يعرف أحد زلّته .

التصق الجميع بالحائط ، على حين أضيئت الغرفة بضوء الليزر الأزرق ، عندما أطلق (نور) مسدسه على

رتاج الباب .. وما هى إلا لحظة حتى تحطّم الرّتاج .. أسرع (نور) إلى غرفة الارتجاج العكسى ، وخلفه (رمزى) و (سلوى) والمهندس (سمير) ، على حين أسرع (محمود) إلى غرفتهم ، ليحاول استخدام جهاز الأشعة الارتجاجية ، فى صد موجات الزلزال العكسية ..

أما المهندس (فهمى) والمهندس (حسين) فقد ألجمهما الفزع ، وأخذ المهندس (أشرف) يحاول الاتصال بالمشروع لتحذير زملائه ..

وما أن وصل (نور) إلى غرفة الارتجاج حتى كان الزلزال قد بدأ .. أخذ (نور) يطلق أشعة الليزر من مسدسه ، محاولًا تحطيم الرّتاج دون جدوى ، إلى أن صاح به المهندس (سمير) :

ـ لا فائدة .. إنه يستخدم جهاز الحماية المغناطيسى .. لن يتحطم هذا الرّتاج أبدًا .

كانت حدّة الزلزال قد اشتدت إلى درجة خطيرة ، وأخذ الجميع يتخبّطون فى الجدران ، إلى أن ملأ آذانهم


أسرع المهندس (سمير) بالهبوط ، وهو يصيح بـ (نور) .

طنين قوى ، فصاح بهم (نور) :

ــ ليحاول كل منكم حماية أذنه .. لقد بدأ (محمود) فى استخدام الأشعة الارتجاجية .

ازداد الطنين حتى أصبح مؤلمًا ، وارتفعت شدة الهزة الأرضية أيضًا .. كان من الواضح أن المهندس (على) يطلق جهاز الارتجاج العكسى بأقصى طاقة ممكنة .. وكان من الواضح أيضًا أن الأشعة الارتجاجية لن تصمد أمام هذه الهزة الأرضية العنيفة ..

صاح (نور) فى (سلوى) و (رمزى) :

ــ أسرعا إلى (محمود) ، ليوقف تلك الأشعة اللعينة قبل أن تنفجر أمخاخنا .

ثم التفت إلى المهندس (سمير) وصاح :

ــ أين مولد الطاقة الرئيسى هنا ؟

أسرع المهندس (سمير) بالهبوط ، وهو يصيح بـ (نور) :

ــ لقد فهمت .. اتبعنى .

كانا يتخبطان بقوة فى الجدران ، التى بدأت تتشقق من شدة الهزّة الأرضية .. صاح (نور) وهما يهبطان :

ـ كم بقى أمامنا فى اعتقادك ؟

صاح المهندس (سمير) :

ـ على حساب هذه الشدّة .. بقى حوالى دقيقة ، وينفجر السدّ كالقنبلة النووية الضخمة .

توترت عضلات وجه (نور) ، وهو يسرع إلى الغرفة التى تحتوى على المولد الرئيسى .. لم يكن الخوف هو الدافع إلى هذا التوتر ، وإنما كراهية (نور) الشديدة للتدمير والهلاك .

صاح المهندس (سمير) وهو يشير إلى مكعب بللورى ضخم فى منتصف الحجرة :

ـ هذا هو مولد الطاقة النووى الرئيسى ، ولكن كيف ستوقفه ؟.. إنه محرّك ذاتى الحركة .. يعمل منذ عشر سنوات .. ولقد بقيت أمامنا ثوان معدودة .

صاح (نور) :

ـ من الخطر تدمير المحوّل النووى .. لقد اشتدت حدّة الهزّة .. سينفجر السدّ الجديد بعد لحظات .. إلا إذا !!

ثم صاح :

ـ أين الكابل الذى يوصّل الطاقة إلى غرفة الارتجاج العكسى ؟

صاح المهندس (سمير) ، وهو يشير إلى كابل ضخم أحمر اللون يمتد على الحائط :

ـ هذا هو .. أسرع .. بقيت أمامنا سبع ثوان فقط تقريبًا .

صوّب (نور) مسدس الليزر إلى الكابل ، وبذل جهدًا خارقًا للمحافظة على توازنه ، ثم أطلق الأشعة .. فشلت الطلقة الأولى ، وأصابت الثانية الكابل إصابة مباشرة ، فانقطع بدوىٍّ شديد ، وتطايرت شرارات كهربائية منه ، ثم استكان خامدًا .. وهدأت حدة الزلزال بالتدريج ، على حين أخذت قطع صغيرة من

الحائط تسقط بفعل التوقُّف المفاجئ ..

وما أن هدأ الموقف تمامًا حتى تنهَّد (نور) بارتياح ، وقال بهدوء :

ـ ها قد زال الخطر .. ولكننى واثق أننا لن نقبض على المهندس (على) حيًّا أبدًا .

نظر إليه المهندس (سمير) بدهشة وقال :

ـ هل تعتقد أنه سيقدم على الانتحار مثلًا ؟

هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ هذا مؤكَّد .. لن يقبل المهندس (على) الهزيمة أبدًا .. مهما حدث .

* * *

١٢ ـ الختام ..

ابتسمت الصحفيَّة الشابة ، وهى تتأمل النقيب (نور) قائلة :

ـ إنك رائع أيها النقيب .. لم أقابل رجلًا فى مثل ذكائك فى حياتى من قبل .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ المهم أنك قد حصلت على خبر جديد .. خبر انتحار المهندس (على) مدير مركز التنبؤ بالزلازل سابقًا .. بالإضافة إلى خبر النجاح فى القضاء على سبب الزلازل نهائيًّا .

ضحكت (مشيرة) وقالت :

ـ هذا صحيح ، برغم أن السبب الذى أخبرت به المشاهدين غير مقنع لى شخصيًّا .. كيف يتسبب هبوط الطبقات الأرضية فى إحداث مثل هذه الهزَّات الأرضية العنيفة ؟

قال (نور) :

ــ بالعكس .. إنه مقنع جدًا .. ولا تنسَ أن الذى أعده هو المهندس (أشرف صبحى) ، وهو مهندس جيولوجى ممتاز .. ويعلم ما يقوله جيدًا .

تدخَّلت (سلوى) قائلة ببرود :

ــ لو أنك قرأت بعض المعلومات العلمية يا آنسة ، لأصبح من السهل أن تقتنعى بهذا التفسير .

ابتسمت (مشيرة) بخبث ، وقالت :

ــ ولو أنك توقفت عن قراءة المعلومات العلمية يا آنسة .. ربما أصبح من السهل أن ....

قاطعهما (نور) قائلًا :

ــ يسعدنى التعامل معك دائمًا يا آنسة (مشيرة) .

صافحته (مشيرة) برقة قائلة :

ــ يسعدنى هذا أنا أيضًا يا (نور) .

وما أن انصرفت (مشيرة) ، حتى أخذت

(سلوى) تتابعها ببصرها إلى أن اختفت ، ثم التفتت إلى (نور) وسألته :

ــ ما الذى كانت تعنيه يا (نور) بقولها هذا ؟

ضحك (رمزى) وقال :

ــ تعنى أنه ربما أصبح من السهل أن تصبحى صحفيَّة ناجحة .

هزَّت (سلوى) كتفيها متظاهرة بعدم المبالاة ، وقالت :

ــ ومن قال إننى أحب العمل الصحفى ؟

ضحك الجميع ، وقال (نور) :

ــ أعتقد أننا لو ظللنا نتحدث بهذا الأسلوب ، فسنفقد الحفل الخاص الذى أقامه لنا السيد رئيس الجمهورية .

أسرع الجميع بإجراء اللمسات الأخيرة ، والتأكد من حسن هندامهم .. ثم هبطوا إلى أسفل المبنى الذى يقيم به (نور) ، حيث كانت فى انتظارهم سيارة

الرئاسة السوداء الفخمة ، وما أن دخلوها حتى انطلقت بسرعة بالغة .. وقبل أن يصلوا إلى مقر الرئاسة مالت (سلوى) على أذن (رمزى) ، وهمست وهى تشير إلى (نور) :

ــ انظر يا (رمزى) .. لقد استغرق (نور) فى نوم عميق .

ابتسم (رمزى) ، وهمس وهو يتأمل (نور) :

ــ له كل العذر ، فلم ينم منذ ثلاث ليال .. لا تنس أنه أنقذ جمهورية مصر العربية كلها ، فى أقل من ثمان وأربعين ساعة .

همس (محمود) وشفتاه تحملان ابتسامة إعجاب :

ــ أشعر بالفخر ؛ لأننى أعمل تحت قيادة هذا الشاب .. قلبى يحدثنى أن التاريخ سيلقبه يومًا بلقب (أعظم شباب العصر) .

(تمت)